الطبعه الاولى

رواية

ميريام الريحاوي

يا صاحب الروح

دار ليلى كيان كورب
للنشر والتوزيع

يا صاحب الروح

تكمن البداية، في مشاعر النهاية.

ميريام الريحاوي

كيان كورب للنشر والتوزيع
دار ليلى

الكتاب:
يا صاحب الروح
المؤلف:
ميريام الريحاوي
★★★
الإشراف العام:
محمد سامي
★★★

المهندسين-12 شارع أحمد عرابي-الدور 3-مكتب 8
هاتف: 23885295 (012) (002)
البريد الإليكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

ميريام الريحاوي

يا صاحب الروح



إهداء

إلى انسانة كنت بفضلها أنا.. "أمي".

إلى أبي وإخوتي، هؤلاء الذين حاولت أن أنفض عـنهم غبـار الغربـة بحروفي..

إلى أصدقاءٍ في وطن وغربة..

إلى كل من لمس شغاف قلبه الحب، وسـيجد ملجـأ لخيباتـه في ثنايـا هذه الرواية..

أهدي كلماتي البسيطة، علّها تنجد ما تبقى من روح..

أهدي هذي اليك، يا صاحب الروح..

(1)

حين يصل الإنسان إلى حالة اللامبالاة في مشاعره، فسلام على أرواح من حاولوا دخول عالمه..

كان يومًا بشعًا، أشبه بيوم من سمع خبر وفاة أقرب الناس إليه أو ربما "نفسه"..

حين تُصدم بمعرفة حقيقة أنك أصبحت أخيرًا جزءًا من تلك الطبيعة الصامتة، الراضية بكل معاناة فلا تهمس حرفًا، لا تناقش، أو تعارض.. ولا تعاتب حتى!

ترى نفسك تُعذب وتُقطع إلى ألف جزء موزعين على أشخاص باتوا يدخلون ويخرجون من حياتنا أسرع من الأنفاس.. فيرحل جزء صغير مع كل راحل لتبدأ رحلة الوجع بعد فقدان ذلك الجزء المبتور منك حيًا وتابعًا للراحلين، ولكن مؤلم جدًا فراغه داخلك أنت..

تنافس النجوم في احتراقها الجنوني فتبدو لامعًا وبشدة لمن يتأملك من بعيد.. وبينما تشتعل نيران الوحدة وتحرق بقاياك، ستخبو يومًا دون أن يدرك أحد هذا.

في ذلك الفضاء الشاسع والذي يتحرك كل شيء فيه ببطء، عقول أُناس هذا العصر الذي تكسوه الأجهزة الذكية والعقول الغبية، أصبحت

أبطأ!!

* * *

"حور"

يرى الجميع جمالها.. مرحة إلى حد ابتسام من عاش عمره تعيسًا، لها ابتسامة تشق أعتى عواصف الغضب فتحولها لعالم يملأه الهدوء

لا يعرف الغضب لها طريق، وروحها أرق من أن يتملكها حقد تجاه أحد أو شيء، تحب من حولها بلا شروط، متفائلة إلى حد الثمالة.

تائهة في مشاعرها.. تحولت إلى كتلة باردة بفعل الحرب..

لم تعرف أن تلملم بقايا روحها بعد تلك الليلة..

لم تستقر بعد في مدينة واحدة، تتمنى أن تذوق طعم الهدوء والاستقرار في كل جوانب حياتها أو حتى على الاقل في واحد منها.

محبة، لطف.. مسامحة وتفهم، كل الصفات الجميلة التي ممكن أن تجتمع في جسد قد أخذ نصيبه من الجمال والرقة وجمع عدة صفات قد أصبح من النادر الآن تواجدها في نفس الروح، وجه طفولي، خدان ممتلئان ويحملان لون الجوري الدمشقي، هي والورد نبتا على نفس الأرض ومن نفس الماء شربتا.. وهواء الشام وعبقه تغلغل وتمركز داخل شراينهما، وهذا سبب عشقها لتلك القطعة من الجنة.. شعر بني مائل إلى الأسود وكسيل من الحرير تربى وترعرع على كتفين صغيرين لؤلؤين

يجعلان من ينظر لها يعشقها من أول نظرة، يحملان لون ليلة صيفية صافية..

عقل واقعي في أحلامه لدرجة الهوس بأحلام اليقظة التي تسرقها من يومها كثيرًا..

كانت تنحدر من عائلة محافظة جدًا تعودت على الترحال من بلاد إلى أخرى، فلا استقرار ولا أمان بحثًا عن المغامرة وكل شيء جديد، بعيدًا عن عاهات المجتمع القديمة، والذي لا يزال بضع من مشوهي العقول متمسكين بها، ولكن حتى العائلة في تلك الأرض.. اختفت!

تلبس حجابًا يكسوه لون قلبها الذي اكتسحته بضع ألوان اخرى خلال سنين الحرب..

في سنتها الاخيرة في الكلية.. وقد شارفت على التخرج بعد معاناة في إنهاء دراستها في بلدها الأم الثانية "مصر"..

يعتريها القلق مما أن كانت مخولة لحمل شهادة لاجئة ام طالبة في هذه الأرض، وبعد أن انتشرت شائعات عدة بعدم السماح لهم بحمل شهادة من جامعة لم تسطع احتواء أبنائها حتى تأتي بغيرهم، لم يكن القلق من الطلاب نفسهم.. بل من تلك الإدارة التي لا ترسو على رأي..

ففي سنتها الأولى كان يعامل الطالب منهم معاملة الطالب المصري، ولكن بعد تلك الأحداث الدامية، المليئة بالحروق.. قد تغير كل شيء..

حرفيًا!!

تُمسك كتبها بعناية وتدخل من بوابة المترو الخاصة بالجامعة، تصل عند البوابة فيأمرها أحد الحراس بأن تُظهر بطاقتها الجامعية، أخرجتها بعناية من حقيبتها، اخذ يتأمل ملامح تلك المرسومة على البطاقة والتي قد خرجت من توها من كفن الحرب، يرمقها بنظرات يغزوها الشك، يحاول أن يعطيها البطاقة ويقوم بإمساكها بقوة حتى تتلامس أصابعه القذرة بيدها حتى يبدو الموقف عفوي جدًا بينما هي تبتسم له ويملأ قلبها القهر على حالها، فلا تستطيع أن تصرخ وتفضح هذا القذر بين قومه من المتحرشين.. فما ستسمعه قد قيل لها الف مرة.

يمر في بالها شريط من ذكرياتها.. حين قضت أول يوم لها بكاءًا خلف باب الحمام، بينما تغزوها ضحكات الفتيات الأخريات حين تقضين يومهن تبرجًا أمام مرآة الحمام يضعن أطنان من الألوان.. ليس هذا بغريب، فالكثير من الفتيات تدخلن أسوار هذه القلعة للعثور على فرصة جيدة للفوز بعريس!.. فمن تدخل الكلية وهي غير مخطوبة تصبح معطوبة بالنسبة لهذا المجتمع الذي يفكر كثيرًا بالزواج والاستقرار!.. الذي بات حلمًا بعيد المنال بالنسبة لحور هنا..

بينما تتخطى البوابة وتدخل أخيرًا إلى الجامعة يحتل قلبها شعور كره لهذا المكان ويزداد وينمو يوميًا مع خروجها من المنزل.. تتحدث إلى

نفسها مواسية تلك المواقف المتكررة يوميا..

ليس من الصواب أن أحكم على الكتاب من صفحات قد شوهت محتواه، لأن الصفحات الأخرى قد تُنسي قليلاً ما عانيناه حين مرورنا عليها..

لا يزال الوقت باكرًا ولكنها لطالما أحبت أن تستغل وجودها في قاعة فارغة داخل مبنى كلية الآداب.. تراجع أحداث حياتها، تتابعها بدقة، لكي تتوقع ماذا يمكن أن تحمل الأيام القادمة، كانت تلك القاعة تبدو فارغة تمامًا إلا من صوت الذكريات القبيح وهو يحاول أن يملأ اجوائها حزنًا وكآبة كي لا يهديها التركيز قبل بدء المحاضرة المتواضعة مع عدد أقل تواضعًا من الطلاب..

كانت تدرس في اختصاص غريب جدًا ونادر، وحديث.. بينما كان تعليمها من القسم المفتوح، والذي يجب أن يعتمد فيه الطالب على ذاكرته وأوقات فراغه بعيدًا عن العمل والكسل..

تحمل بين طيّات روحها أحلاما عدة، إحداها أن تنهي كليّتها أولاً كي يستى لها التفرغ للكتابة.. لطالما أحبت أن تنقش حُزنها حروفًا..

قلة من قد يأخذ تلك الحروف على محمل الفهم.. إنها ليست سوى عبارة عن تفريغ للذاكرة من الحمل الثقيل عليها.. وخلق صفحات جديدة في ملف الذكريات والتي لن تمحى بفعل قصف أو تفجير..

* * *

تنهي يومها بهدوء بعد انهاء محاضراتها وذهابها للعمل حيث كان يوما مملا جدا، تعود متأخرة للمنزل بسبب الزحام.. العادة اليومية!

تدخل غرفتها بصمت وتنام بملابسها، لم يكن لديها طاقة لفعل شيء.. ولا للتفكير

* * *

" بهدوء مصطنع، بدقات جنونية باتت على وشك اطلاق سراح القلب من القفص الذي يحكمه من سنين عينان تنظران للأفق..

جسم لم يعد موجودا بفعل النشوة التي طغت عليه..

انفاس هدأت بعد صراع طويل مع الوقت..

رعشة خفيفة تسري بكل خلية..

شعر يلوح بعد أن هبت رياح وانتزعت حجابي..

قدماي لم تملكا قوة من قبل كما الآن..

ضممته بيداي بشدة لأتمسك بيأس قبل السقوط، أنظر إلى الأسفل فأرى صديقة عمري " لجين" تلف ذراعيها بحركة جنونية حول رأسها خوفا علي!

و بكل حنان ترسل الي شفقة من عينيها..

كانت أقرب من غيرها من المتفرجين.. أشيح ببصري لنقطة أبعد.. إلى القاع تحديدًا..

يهتفون ويصرخون.. ينادون بأسماء وحروف باتت أبعد من أن يستوعبها عقلي الآن..

هناك، في الاعلى على زاوية العالم كنت أقف!

و قد وهن الصبر مني..

على ارتفاع الأحلام الشاهقة والبعيدة..

كدت ألتقط تلك النجمة التي في احدى ليالي دمشق الساحرة قد اهداني اياها.. " يحيى"

نظرت لهم بشفقة.. وانا التي كنت أحق بها!..

يا لي من مجنونة، لطالما كنت معجبة بالارتفاعات الشاهقة، فهي تخلو من انفاس البشر المنافقين، ولكن.. كيف وصلت إلى هنا؟

الا انني اتمنى أن اسكن هنا..

خائفة! نعم.. وعلى وشك الهبوط في اية لحظة..

أرى عزيزًا على قلبي، ليس بيني وبينك حجاب.. يمد ذراعيه بكل حرية فتبدو إنها كست الارضية التي سأقع فيها لأكون في أحضانه وحده..

ينتظر مني أن اهبط في سلام بين ذراعيه، يومئ لي برأسه.. أن تعالي، منزلك ووطنك هنا!

بكل حزن تسمرت عيناه عليّ..

كان وحيدًا منهم من ترك ليديه أن تمتد للاحدود ليستقبلني في أي عمر شقي، يجبرني على القدوم اليهما.. للغوص فيهما..

اعود لحريتي السماوية..

اشاهد الطيور وكيف أن ربها قد اعطاها فرصة الابتعاد والتحليق بعيدا عن هذه الأرض البشعة، المليئة برائحة البارود..

أتراجع بحركة جنونية، بينما إفتح ذراعي للفضاء، ألتقط نفسا طويلاً، عميقا.. أقلد الطيور بشغف طفلة تفرح لرؤيتها الأجنحة الملونة لتلك المخلوقات اللطيفة..

أفلت يداي المتمسكتان بذلك العمود الصدئ الذي يحتوي حوله حافة دائرية الشكل تكفي لشخص واحد فقط. قد أفلت منها حيا لتوه..

و التي احتوتني بأعجوبة، من ثم اغمضت عيناي بكل رضا وقد اقتنعت بأنها النهاية لكل ألم، قهر، وحزن..

و بداية لكل انواع العزلة عن هذا العالم المشوه!

شعرت بالهواء وهو يتخلل مسام جسدي المرهق..

تدور أيامنا سويًا أمام عيني في شريط سينمائي قصير مذ قابلته، لحين قرر الله أن يأخذه لجناته..

هيأت نفسي جيدا لتلك اللحظة.. استغرق تحليقي دهرا!

تكمل روحي بهدوء للسماء، تهبط عاليا..

و يكتمل المشهد بعدها، حين اشرقت عيناي ببطء، فرأيت جسدي ملقى بين ذراعيه، و أرى اللون الاحمر.. لوني المفضل، لون صبغ الورود، اللون الذي غزا احلامي مذ سقت دمائه أرض الوطن..

يحيط رأسي بهالة من الذكريات المسمومة..

يحيط بي المتفرجين الذين كانوا يراقبونني بصمت مليء بالضوضاء قبل قليل..

بكل امتنان، ارنو لتلك الذراعين، اللتين تلثم بكل رفق جرح الوطن الغائر في روحي..

كان موقفاً صامتًا، كئيبًا..

لا أحد يقوى على البكاء سوى كل من في السماوات حزنًا ورثائًا على حالي

فلا تسمع لهم سوى همهمات مشوشة.. ويغمرها صوته فجأة

– ما الذي أتى بك؟

ليس هنا..

ليس في هذا الموقف بالتحديد..

ارحل لجنتك، فلست ممن يشتهون رؤية عذاب أهل الأرض..

حلمت كثيرا باللحاق بك يا يحيى ولكن، اني اخاف ربي، اخاف لحظة ضعف تنتهي بي عائدة تحت قصف المدافع التي دمرت منزلي في وطني!

تمتد يد ضخمة، اشبه بيد لوحش عملاق، تسحب يحيى ليسقط جسدي ارضا ويرتشق ألمي..

أُمسك قلبي بكل حرقة وأصرخ ليملأ صوتي زوايا الارض.. وللعجب تنظر عيناي للذي حصل فأرى الخوف والرجاء في عينيه هو " انقذيني يا حور!

ان الذي يدور في رأسك ويهلك قلبك، ويعتصر روحك ألما يوميا يعذبني أنا أيضًا "!

* * *

استيقظ مفزوعة.. اقرأ المعوذتين بشكل هستيري ألف مرة.. اتجه للمطبخ بحذر واملأ كأس ماء، قبل وصوله لفمي وللرجفة التي اخذت تسيطر على يداي يقع، ويرتطم ليحدث ضجة أحيت هدوء ذلك الليل الميت.. في بيت خال الا من روح حزينة، وأنهمر باكية من أثر ذاك الحلم..

الكابوس!!

* * *

(2)

إن أحسن الحب.. هو ما يوقظك من غفوتك، وبعد عمر طويل تكتشف أن ما عشته غير حقيقي وأن هذا الحب هو الحقيقة.

"حور"

كلنا لا ندري كيف ومتى بدأنا نشعر بتلك الفقاعات المجنونة في داخنا والتي تتسلل إلى الهواء بحضور الاسم فقط..

فنختنق عشقا ونذوب حبا..

حتى أن الاشخاص الذين هم من حولنا يختفون!

فلا يبقى سوى من أحببناهم يدور في كوننا، كنجوم في فضاءات الهيام، ليس لها حدود.. تقتحم وتحطم كل قوانين الطبيعة المملة في أرض لم تعرف سوى الحروب والحقد..

نغادر سويا.. وتلتحم ارواحنا في رقصة درويشية بعيدة كل البعد عن منطق الجمود ونتجاوز سويا كل فرضيات الجاذبية..

في لحظة ما وفي خضم هذه الحياة، وبعد الكوارث التي حلت في قلبي بدأت بإدراك الوجود الالهي..

نعم أنا اؤمن بالله منذ بدأ الوعي يتغلغل في خلايا عقلي ولكن قد شاب هذا الوعي "التعود" فكنت اعبد واسجد لاله لم يحضر خاطري وبالي أبدا

في صلواتي له من قبل..

و بعد أن فقدت كل شيء.. ربحت نفسي بالتعرف على من أحدث كل شيء.

أيام.. اصبح فيها كل شيء في هذا الكون مشكاة تهديني إلى حب الرحمن، اصبحت الحياة حولي تجعلني استوعب كم أن حجمنا صغير جدا مقارنة بغرورنا الذي اصبحنا نتحكم بحيوات اخرى من خلاله، بينما هذا الغرور نفسه.. لا يمتلك روحًا، ولا حجمًا.. وانما مرجوعنا إلى خالقنا..

يحتاج عقلي احيانا ثوان قليلة حينما اشاهد خلق حياة جديدة ام سلب حياة قديمة، إلى أن افكر كم أننا لا شيء وفي ذات الوقت.. كل شيء..

في حين نسينا نحن العرب كيف نعيش بهناء، وكيف أن باتت ايامنا كقطرات الأمطار تسقط على أرض جرداء فما تلبث الا أن تختفي بلا رجعة، ولا وجود!!

تلك اللحظات التي نقضيها في التفكير بحياة افضل، وبمستقبل يحمل سلامًا.. تغرق في اعماقنا فتمتصها ارواحنا العطشى.. فلا تترك آثار.. بل ندوب لا تزول!

أحاول جاهدة أن اتقمص شخصية فتاة غريبة، ففكرة أن اكون فتاة

عربية تعيش وحدها في منزل ضخم كهذا قد اجهدتني..

في محاولة مني أن أحسن يومي، وأن اعيش ادق تفاصيله بعيدا عن كل الملهيات الخارجية من صعوبات العيش وحيدة في مجتمع شرقي!.. و"سجني العربي"..

احاول أن استمتع بكل لحظة وهبت لي من خالقي..

هناك اعتقاد تملكني انني قد وهبت حياة من ودعتهم من احباب لي..

رتبت يومي بشكل يليق بعقلية مغامرة بحتة.. ولم انسى جزئي المفضل الا وهو الصمت!

إن سألتموني لما الصمت في حضرة المغامرة.. فسأجاوب قطعا، أن لكل مغامرة لحظات تأمل.. هل انتهى كل شيء على خير وما هي الخطة للمغامرة التالية.. وافكار مجنونة غيرها تجعلني اتعجب من نفسي، هل فقدت عقلي أم بدأت استوعب الحياة!!

هناك مقولة لعالم نفس " أن المرضى النفسيين هم من فهموا الحياة بشكل صحيح"

اخشى أن افهم الحياة بشكل صحيح.. ولكني اريد ذلك وبشدة.

أحلام بسيطة باتت عبء على كاهلي، ويا لها من عملاقة بالنسبة لفتاة لتوها فهمت كيف أن لكل حلم "ثقب اسود" سيسحب اليه يوما.

بعيدة أنا عن كل الناس والعادات والقمع الذكوري، منزلي الوحيد الذي يحمل اسمي، منزل كبير تركه لي عمي الذي هاجر مع زوجته واطفاله إلى اوروبا كغيره من ابناء بلدي ولكن على يخته!.. ولم تهاجمه كوابيس أن يبلعه البحر هو وعائلته كما غيرهم.. احلام، حياة، شقاء عمر، ابتعلته الامواج بكل ضمير.. ولم تترك أثرا ننتحب عليه حتى، فكانت الأسماك أحنّ على أبناء بلدي من بعضهم..

استقبَلَتهم بدون جوازات وبدون تأشيرات وبدون عنصرية!!

كانت فكرة مجنونة أن الحق بهم ولكن كما فعل هؤلاء المضطرين.

وَبَخَّني عمي كثيرًا قائلاً لي: حور، ببعتلك تيكت وبتيجي بالطيارة يا عمو.. ليش بدك تعرضي حالك للموت.. في حدا بيتمناه!

حور: عمو أنا مقدرة كل شي عم تعملي ياه، بس أنا حابة اطلع بهالطريقة، يمكن الله كاتبلي ألحق عيلتي..

و يحيى!!

منزلي الذي يحمل صور ولوحات وتحف لفنانين بعيدين كل البعد عن المنطق، غارقين في عشق شيء مختفي لا يظهر لسواهم..

سقاهم هوى لا يدري لذته الا من ذاقه، " الفن "

له نوافذ كبيرة، أو بالأحرى جدران من زجاج، لا تخفي شيئا عما في الخارج حيث تقبع جنتي المتواضعة والتي يتسلل نورها إلى اعماقي كل

صباح.

* * *

ترتدي معطفها الصغير والذي يلتف حولها فتتحول إلى زر من الجوري الدمشقي، عينان منتفختان تحملان من الجمال سحر لا يقاوم، خصوصا أن لمعة أحلامها لا تزال تسيطر على الحدقتين..

برد صباحي لطيف بعد صلاة الفجر، ساعة بالتحديد، تشرق كل الروائح الجميلة لورودها، الياسمين، الفل، والورد البلدي، لتعلن بجمال عن بداية نهار سعيد، وكي تمحي آثار ذلك الكابوس..

تمرر اصابعها على وريقات الورود بكل هدوء.. تمشي وخُفها الوردي اللون، لدرجة إنها ارادت خلعه والمشي حافية القدمين.. الاحساس ببرودة تراب الارض، في حين يتغلفها صقيع جميل.. أي جنون هذا عند الصباح!..

تلف ذراعيها حولها وتنظر للسماء عاليًا.. كانت كتلك البتلات على وشك التفتح، تُدخل إلى رئيتيها عبق الياسمين، تلك الزهور التي لطالما عشقتها..

تعود للسماء وتستمر باستنشاق البرودة الجميلة التي تحمل نسيم من شذى من احببناهم.. يسكنون الجنة الآن، وأن لجمال هذه الرائحة عند اشراق الصباح، اتخيل بأنهم كانوا هنا..

يطبعون قبلة على جبين كل واحد منا، كي يهدأ ليلنا وتقر اعيننا لذلك استيقظ يوميا على توقيت الشوق اليكم..

اريد أن اراكم.. اخذتم أشكال عدة.. تمركزتم في عدة اشياء احبها تارة اراكم في الورد.. وتارة اخرى في سماء ليلة صيفية هادئة، و كم مرة اخذتم ترسلون اشواقكم في سيل من الامطار، اشتاقت ارواحنا لكم.. فهلا حضرتم انتم في الحلم يا أعزاء في الروح..

و هلا أبهجت الروح بقدومك يا صاحب الروح!!

يمر الوقت بطيئا، تتجه نحو مسجل الصوت وتضغط على زر التشغيل، فتنطلق تلقائيا ألذ النغمات لعشقها الصباحي "فيروزتي" كما تحب أن تناديها دائما..

تُحَضّر بعناية فنجان قهوتها.. أجمل ما في لحظات السكون الروحي..

تجلس على أريكتها المطلة على تلك الجنة، و التي وسعها السماوات والأرض.. بالرغم من صغرها الا إنها اتسعت لكل جنوني في هندستها لتكون كالجنة تمامًا، تشبه حديقة فيلمها المفضل "just like heaven".. الذي يتحدث عن طبيبة قضت معظم وقتها في عملها ولم تلتفت لحياتها ابدا.. وهي في طريقها لموعد مع أحد لم تراه من قبل قد دبرته لها اختها بعد أن اجبرتها للالتفات قليلا على حياتها

الشخصية، تتعرض لحادث سير يجبر روحها على الخلاص من جسدها لمدة قصيرة وتدخل في غيبوبة وما تلبث الا وأن وتتعرف على نفس الشخص الذي كانت قد رتبت لها اختها موعد معه بعد أن استأجر شقتها، بعد أن علم أن صاحبة الشقة ليست موجودة..

ينقذها اخيرا بعد أن أقنع اختها والطبيب الذي لطالما كان حاقدا من نجاحها أن القتل الرحيم لن ينفع فروحها هنا وتتحدث اليه فقط..

لا يستمع اليه احد، ولا ينجح بسرقة جسدها من المستشفي، ولكن ما أن فُصلت الاجهزة عنها حتى عادت للحياة بلا ذاكرة عن أي شيء.. ولا تتذكره، فينهي هو نقل اغراضه من المنزل بينما هي تعود وتتذكر اشيائها في شقتها.. تصعد للسطح فترى جنتها.. جنتها على سطح منزلها في الحلم، أو الحقيقة فعلا التي لا تتذكرها، يلتف إليها ويقول:

- انا آسف، اردت فقط أن اتأمل جنتي قبل أن أرحل..

تنظر اليه بهدوء.. تمر الذكريات بسرعة امامها، وتنطق:

– لم يكن حلم، ولكنه كان يشبه الجنة.. بل كان الجنة نفسها!.. كان كالجنة تماما..

نعم، وجودنا بالقرب من اشخاص يعتبر وجود للجنة في حياتنا، قد سمعنا مصطلح الجنة كثيرا ولكن لم ننعم به الا بالقرب من احدهم،

قد نعمت بك.. ونعمت بالجنة في قربك و قد دنى قطاف العشق مني

حتى أثملني هيامًا بك..

لم احس بالامان.. كما كان بقربك، تحترق روحي يوميًا منذ ادركت انني قد شابه قدري قدر أبانا آدم في حرماني من جنتي، وفي حرماني منك..

على يسارها طاولة صغيرة، مستديرة، ذات شكل غريب ومميز، سطحها صغير لا يسع سوى فنجانها وهاتفها، وفي المنتصف يوجد رف صغير تضع فيه الروايات التي لا زالت قيد القراءة، وعلى جانبها مكان صغير وكأنه جيب تتواجد فيه أوراق مليئة بمشاعر مبعثرة، تفضي إليها حزنها العبثي والذي لا يحكى لغيرها..

و في الجانب الآخر جيب اخر، يمسك الوان عدة من الاقلام، سيدها الاسود، وخصوصا ذاك القلم الذي لم يفارق يداي مذ أن قرر أن يستقر في روحي ممسكا كل مشاعري ساجنا اياها في حضرة الاوراق

رفوف كاملة من الروايات والتي طالما عشق عمي جمعها، بحيث تحصل كل منها على جزء صغير من روح كاتبها.. " التوقيع"

تنظرها بشغف..

رف واحد منها كان يخصك.. انت فقط

و كل شيء فيه، كما تركته تمامًا.. لم يتغير شيء، مذ رحيلك والاوراق تبكي حبرًا، وكأنها تأبى أن يلمسها أحد..

مثلي تماما.

تحضر مشاعر بشعة حين أُدرك انك لست هنا.. ولم تعد تريد ذلك

اغرق في التفكير، تنهك روحي حين اتخيلك واقفا هناك، تحاول ساخرًا تقليد شاعر ما، فترفع يدك عاليًا، جاهدًا أن ترسم ابتسامة غابت عن وجهي، في حين كان قلبي يرقبك في صمت.. ويذوب بصوتك وعذوبته..

ساعات كنا نقضيها قراءة ومناقشة.. فلا نترك رواية أو قصة احببناها الا وقد حفظنا سطورها وحروفها وألِفنا حياة ابطالها وعشناها خيالاً..

يا لك من أحمق!

لن تجد من يفهم خطوط يديك، ذاك السحر في عينيك، كأنا!

و لا من يتأملك تحت إضاءة مكتبك الخافتة، حين تلقي جوانب من روحك على هيئة حروف..

أرنو إليك من بعيد..

أهم بإعداد قهوة لكلينا، أتركك في محرابك المقدس في حضرة الكلمات، تخلق صلوات على هيئة حبر..

تركع لك الاقلام، تنحي لك الاوراق، اصواتها تصل السماء في لحظة تبجيلها لحروفك..

كم كان مشهدا عظيما..

خشوع تام.. في حضرة يديك المبدعتين ..

لم يرى قداستك غيري.. كقديس كنت.. يجلس في معبد الكلمات، فتخشع له الحروف.. و تنطلق من روحه أعذب الترانيم والصلوات..

استطيع أن اقضيها بالقراءة، أيامي ..

فهدوئك وجموحك في أن للغوص في عالم الكتب والملاحم الروائية علمني الكثير يا امير الروايات..

ابعدتك الايام عني عنوة.. ولن اتنازل عن حقي في استردادك

و لن يسقط هذا الحق بمرور الزمن!

لا هروبي منك، ولا من واقعنا الاليم.. يا مختار..

و لا تظاهرك بأنك سعيد ببعدي وبدوني..

اعلم بأن يوما ما سيجمعني بك، وسنضحك سويا على خيباتنا المتتالية، ومن أشخاص قد فرقتنا دون أن تدري إنها تحطم بيوتا من زجاج برميها احكاما مسبقة لقدر لم يرسم وليس لها الحق في رسمه!

* * *

(3)

هيدا حبيبي الي اسمي بيهمسو

تعبان على سكوتو ودارسو..

"حور"

جلست اتأمل عيناك بينما كنت مشغولا بعمل ما على حاسبك المحمول..

و قد اعتراني ذاكِ الشعور البشع.. انك "لست هنا"..

و ستصبح عما قريب بعيدا جدا عن متناول عيناي، وأن قلبي سيتألم جدا في سنينه القادمة لأنك ستنضم رغما عنك إلى صفوف الراحلين..

يعتبرني أصدقائي محظوظة بامتلاكي الحدس.. بينما أعتبره سكين يغرس في قلبي..

لك أن تتخيل انك وعلى حين وحدة، تقرأ من عيون محبوبك انه ليس لك ابتداء من لحظة ولادة هذه الفكرة التي خلقها الحدس!

مختار: في إي يا حور!

حور: ما في شي، مو انت حبيبي وانا بحب ضل اطلع فيك واملى عيوني منك..

يبتلع الصمت خجله ويعلم إنها تدري ولكنها تريد أن تشبع منه قبل

أن يختفي كغيره.

مختار: بس المفروض البنات متعملش كده!

حور: بالنسبة إلي كل شي بحبك مفروض وما حدا بيتدخل بطريقة حبي إلك.. ولا حدا ممكن يعلمني كيف حافظ عليك.. تعبت كتير للقيتك، بكفي!

و تتلاقى عيناهما في نظرة مطولة، تترجاه بكل كبرياء.. لا ترحل!

و يغرق في صمته مرة اخرى..

لطالما كان صامتا، وكأن الحزن قد ابتلع كلماته.. ولم يدرك انه يشوش صمتي في سكونه هذا..

كنت قد احببتك من صمتك الذي ميزك عن ثرثرة الغير، حتى شعلة المشاعر التي كانت تظهر جلية في لغة جسدك في حضوري، بهتت، نظراتك التي كانت تجعلني اشكر ربي كثيرا للقياك، طريقة الغزل التي كنت تتعهدها تجاه طريقة نطقي لبعض الكلمات، اختفى كل شيء.. والآن تحاول أن تجعلني اصمت فقط.. من خلال هدوئك هذا..

هيا.. اخبرني.. أنا في انتظارها.. انطقها في وجهي الآن فقد لاقت هذه الروح وجعا قد فتك بما تبقى.. و لن يزيد الوجع يا عمري الحاضر.. بل سيخبو مع اغلاقك لبوابة الوهم الذي خلقتها حين دخلت قصري المهجور..

لا تختفي مثلهم بلا سابق حديث..

اسحب روحي معك، واجعل النظر يسابق الدمع فيمحيه

لا، بل اجعلني أبكي امامك..

اجعلني أذرفك خارج مقلتاي.. دعني اطرد طيفك منهما

لا تكن جبانا يا مختار..

مختار: أنا لازم اقلك على حاجة مهمة يا حور..

حور: شو هيه؟

مختار: مينفعش هنا.. خلاص، بالليل نتكلم واقولك..

حور: متل ما بدك..

* * *

رسالة "مختار"

حور، لم اجد حروفا تصف حزني، لقد وجدتك في منتصف صحراء العمر، كنتِ واحة من المياه العذبة التي روت عطش ايامي، لم تشبهي احد.. ولن تفعلي، قد سرقتني من دموعي واسراري وهمي ورضاي، اخذتني اليك.. قربتني منك لدرجة التحمت روحي في نغمات ضحكاتك المجنونة.. وعيناكِ اللتين اصبحتا منزلي.. أنتِ التي لم تخذليني يوما.. سأخذلك الآن!.. قاسية هي الايام حين جعلتني ارى نفسي من خلالك ثم سرقت نفسي مني في حين أنا الذي سأبتعد عنك.. سأختنق من غير

كلماتك اللطيفة.. سأُحبس في صندوق بعيد عن متناول لسانك بعيدا في زاوية مهجورة من عقلك..

لطالما قلتي لي أنكِ كلما تتحدثين اليّ يُفتح اجمل صندوق للحروف في عقلك.. ها أنا ذا احبس نفسي في احداها علك تجدين طريقة ما كي تخرجيني مرة اخرى في مستقبل ليس بقريب.. لم يدرك من احبهم انك حبي ورضاي وعمري الجميل.

* * *

"حور "

ينكمش قلبي فيصبح مثقال الكون بأسره، يجري الدم جريان جنوني، تهب رياح ساخنة تقتلع مني أسباب السعادة ويكسو اللون الأصفر وجهي..

لا اجاوب تلك الرسالة..

يا رب هذا الحب يوجعني..

يمر يوم.. يومان، ولا اراه، اسأل عنه فيرد علي احدهم.. ليس بخير!!

ان كنت اخترت أن تكون بعيدا، يجب أن تكون قويا لدرجة أن تتحمل مسؤولية هذا القرار..

أستسلم وارسل له رسالة قصيرة..

حور :.. وانت وين! !.. هي حياتك ولا حياتن! !

هو الوداع اذا ، لكل نفس اخذته عشقا للحياة بقربك بعد أن جعلتني اتمسك بها ، كل محاولاتي بأخذ الحيطة من مواقف مشابهة بائت بفشل اعظم من كل ما مر ، كنت الطامة الكبرى

حطمت كل شي ومضيت، وكأن شيئا لم يكن..

لم تكن منهم.. كنت نادرا ، لم يكن يشوبك تفاهات الأيام الذي نعيشها ، تعيش في كوكبك الخاص.. ولك ثقب اسود يعيش في منتصف قلبك ، يبتلع كل المشاعر التي تطغو في حياتك، فلا يتبقى لها اثر

كنت هادئا على الدوام، لك ابتسامة تخفي ورائها الف نجم يحترق ألما..

قد أَلِفت روحك وجعا كبيرا حيث اختار لك الله أن تعيش بلا سند.. قد خطفت الأيام منك والدك وقد جعلتك تخطف روحك من كل محاولة لسحبك من قاع الألم..

لم يكن من السهل التعرف على وجعك من أناس لم تعشه، ولك أن تعلم انني قد عايشت ألمك حين خطف مني شقيق الروح..

و لك أن تدرك انني وحدي من فهمت وجعك وعلمت أن القرب منك جنة بطعم الجحيم.. واخترتك! !

* * *

"سيف"

كان هناك جالسا.. ساكنا كالموت!

يتأمل أحداث سَنته الكبيرة، ودونما اهتمام اخذ يقلب صفحات ايامه وشهوره

ساعات قليلة كانت تفصله عن العام الجديد، ليس بإمكانه الجزم انه سيكون عاما مليئ بها.. ام إنها ستستلم وترحل.. ولأنها ليست بفاعلة.. تنهد بعمق.. لم يسطع أن يشيح بصره عن صورتها التي ما فارقت جدران قلبه وكستها..

انها كلعنة فرعونية.. تصيبك مدى العمر.. تصبح منك، تغدو بصماتك.. كشوك الصبار، تحتل اطرافك رويدا رويدا..

تحس بها.. ولكن لا تعلم اين تقبع تماما.. لها اثر خالد على الروح لابد من وجود ترياق منكِ..

كان حضورها السرمدي في تلك الاحداق يحدث حالة من الصخب داخل العقل..

ضوضاء فاتنة!

كلهم يحتفلون الآن يا لجين!.. واحتفي بوجودك الوهمي داخلي وحدي.. لماذا يحتفل العالم بقدوم سنة جديدة!

هل علي أن احتفل ام اغضب، سنة جديدة من دونك.. عام الحزن هذا

سينتهي، حين تأتين، فهلا عدتِ..

فما بيننا وعد وقبلة..

سنة جديدة قادمة، ام سنة قديمة مضت، الحزن ام الاحتفال في هذه الحالة!

و لأن البشر اقوى من الحزن احيانا، سيحتفلون!

مستبشرين بالتواريخ الآتية.. علها تعود بما هو منتظر، سيرقصون في مراسم جنونية حاملين مشاعل الفرح في رقصة سرمدية لطرد الارواح الشريرة والتي تنظر بحقد لعامهم الجديد..

سيحرقون شبح المصائب التي حلت في سنتهم الماضية، شموع وهمية على طبق وهمي، اعدوه فرحا، علـه يـرحم هـذه القلوب المتأملـة بقـدوم الراحلين..

أطفأنا شموع كثيرة، والغائب لن يعود..

وهمية هي افراحهم، بقدر الاحلام التي باتت تتنقل من محطة عام لأخرى دون تحقيق!..

دون اللحاق بقطار يقلها للواقع!

متحطمة على ارصفة الخيال، متناثرة على كراسي الانتظار..

يتحدث إلى نفسه: سيف، اهدأ.. انت من خلق هذا الوجع، نعم لا تستحقه، ولكن تحمّل، سيأتي ذاك اليوم الموعود قريبا.

تقترب منه بهدوء.. تنظر إلى نقطة جرداء.. من أي حدث قد سرقت انتباهه..

لمى: في ايه.. انت سرحان في ايه بالظبط، مالك يا سيف! انت بقالك يومين مش على بعضك.. تعال انزل كلنا تحت مستنين الكاونت داون.. اكيد مش هتضيعو، دي اول مرة لينا يلا يلا..

سيف: يلا جاي فورا.. اسبقيني..

يحمل الشمعة بالقرب منه.. يتمنى أن يحرق عيناه قبل أن ينزل فيراها ممسكة بيد أحدهم لتبدأ عامها بدونه..

لجين.. لو انني استطيع أن اعيد الوقت ولو قليلا.. في نفس هذا التوقيت.. وفي ذات المقطع من اغنيتنا المفضلة:

Last Christmas, I gave you my heart

But the very next day you gave it away

This year, to save me from tears

I'll give it to someone special

* * *

"لجين"

فتاة في العشرين من قهرها.. وقد اتعبت هذه السنون حياتها!..

تعيش في عالمها الخاص والذي يكسوه تفكير من نوع جميل.. حنون

ورقيق

انهت دراستها لتلتحق بصفوف رفقاها في عمل ليس له صلة بموضوع دراستها في الكلية..

- اخترت هذا المكان لأني اتطلع لفرص افضل..

هذا كان ردها في المقابلة التي فرضت عليها.. وكان القدر قد ساقها ها هنا للتعرف على راحة وشقاء العمر في آن.."سيف"

عينان بلون القهوة، وبلذتها حين النظر اليهما..

صمت يلوح بمعارك تدور في عمقها..

لها حياتها التي اكتست ببرود العلاقات بعد انفصال والديها، لها من الاحزان ما يكفيها، قررت في لحظة عزم ترك المنزل الوهمي.. والذي لا يحتوي على عائلة اصلا..

تأخذ بيد اختها وينتقلان للقاهرة بحثا عن حياة ليست لها علاقة بالاوهام ولا الاحزان

كان حلمها صعبا بالتحديد.. كانت تبحث في كل عين عن حضن يحتوي ألم يعتصر روحها

قررت اخيرا الدخول ال عالم الكوول سنتر.. كان صعبا عليها أن تنهي اربع سنين من الدراسة في مجال كهذا..

لم تدري إنها ستجد كوكبا جديدا، يحتوي على اشباه ارواح، فكل

من خذلته ايامه.. وجد المأوى هنا..

و لأن العمل يأخذ معظم اليوم، يصبح الزملاء عائلة واحدة..

لم يكن سهلا أن تتعامل مع اشخاص غاضبين عل الدوام، ومع دوام هذه الحالة، تتبلد مشاعرنا، ولن يستطيع احد أن يشعل الذي انطفأ

سيكون من الصعب عليك في بداية الامر تقبل أن يتم تجميدك على مقعد وكومبيوتر، ولكنك رغم عن انف الاحتياج.. ستقبل

ايام تمر ولا يمر كل مر..

و في لحظة ما.. لحظة يتغير بعدها كل شيء

* * *

"سيف"

يطل بكل بهاء، يمحي بتواجده كل شوائب اليوم..

مزيج عبثي من الثقة بالنفس يغمرها اللطف والكثير من الابتسامات..

له ملامح فرعونية، وكأن هواء النيل قد تجذر في عروق يديه، واخذت سمرة من شمس مصر في التغلب على ملامح وجهه..

عيناه كانتا البدر في اتساعهما ونورهما..

و لم يلبث قلبه أن تحول لهرم يدفن فيه اعتى المشاعر التي تحيط به

و لكن كما كل قصة..

لكل هرم مكتشف شجاع مقدام، لا يهاب النتائج الكارثيـة أن غـاص في اعماق هذا التابوت

لجين.. كانت هي تلك الشجاعة، لم تهب الظلمة الميحطة بعصور من الهدوء والموت داخله

واخذت في الولوج بلا خوف

لم يكن من السهل عليه هو ايضا أن يتجاوز احداثا صعبة قد جـرت وحطمت الكثير من لحظات توجب عليها أن تكون سعيدة قبل أن تتحول إلى دامية..

فَقَدَ كِلا والديه في حادث جعله يخـشى أن يـتعلم الحيـاة بـدونهما.. تمنى أن يتعلم المشي.. تمنى أن يعيش طبيعيا، بلا شفقة من أحد

بدأ طفولته على كرسي متحرك، ولم يدرك معنى الحريـة وأن يكـون لك قدمان تتحكم بهما لتمشي في طريقك وحدك، ولتجـد مـن يـساندك في وحدتك..

و لتنظر إلى شريك حياتك، ولتسافر بعيدا عن كل ذكرى بـشعة معـه وتخوض كل مغامرة..

لتقفز من اعلى الجبال، لتركب دراجة هوائية، لتمشي علـى شـريط من الرمال الشاطئية، وتتغلغل الرمـال بـين اصـابع قـدميك ويطغـو المـاء البارد للبحر عليهما وتجري قشعريرة في سائر جسدك

اراد أن يشعر.. فقط

و لكن مع الحب الكثير للحياة، تغلب على العجز.. معها وبها

هي الوحيدة التي لم يتخيل لها أن تغادره بعد أن اهدته الحياة، كل لحظة سعيدة بعدها.. ينتهي عمرها فتكون اقصر من رفة عين!

سيف.. ذو السبع وعشرين عاما

حاول كثيرا البحث عن ذات بعيدة عن الاسى..

و لكن كل المحاولات بائت بحزن ورحيل ووداع..

* * *

"لجين"

لم تسطع عيناي التغلب على عقلي، فما بت اعلم ما افعل، اردت الهروب من هذا اليوم اليه.. لا بل اردت أن اهرب من عالمي اليه

تمنيت أن اقع مرغمة في شرك العشق عله يبعدني عن ما يجري حولي، علّني انس قليلا، ولم اعلم أن هذا الشرك هو اصعب بمراحل.. ولكني قبلت وتحملت، ويا لك من جميل طغى حضورك على كل الم..

سيف: هو ده الي لازم تعملوه زي ما فهمتكو بالظبط..

حور: بس نحنا هيك لسا بالبداية اكيد في ناس رح تقف جنبنا وتساندنا؟

سيف: طبعا أنا هنا وراكم.. أي حاجة عايزينها شاوروني.. اوك!!

لجين: اوك..

يمر أول يوم لها وقد ساعدهم في كثير من الاعمال، ولكونه خـبير في هذا المجال، لم يترك للفضول اجابـة فارغـة، كمـا أن التـصاقه بجانـب مكتبها اوحى لها انه يحس بشيء ايضا، لم يكذب شعورها يوما

لجين :..

حور: شُبكي لجين، كأنك مو معنا ابدا.. نيـالو.. يتهنـى الـي اخـد عقلك

لجين: أنا بس قلقانة عشان ده اول يوم بس..

حور: *اوكيييي*.. صدقتك.. لنشوف اخرتا معك

ينشغل تفكير لجين مع خروجه من باب الشركة ومع انتهاء اليوم.. تنام الاحداث وتنتظر بفارغ الصبر، اليوم الذي يليه، فهل يـا تـرى هـو من سيسحب الماضي ويرميه إلى اعمق نقطة في قاع التفكير.. كـي لا يعـود مطلقا!!!

* * *

(4)

إن لكل شيء ميقات..

وحده الله العالم من يدري من سنقابل ومن سنودع!!

" حور "

كالعادة!

و لأننا نتمسك بأدنى ألم صغير.. عفوا.. أمل!

ولا ادري ما هو الرابط الحزين بينهما، يدخل عنوة حياتنا، أشخاص نظن وبحرقة انهم الملاذ الاخير..

و نحترق بنفس ذاك الشعور مع رحيلهم.. ونبدأ نحن حزننا الكبير

و كأنهم يعمون عن شعلة احتراقنا امامهم.. وكأن ثلوج القطبين اتخذت قلوبهم مسكنا جديدا.. دائما!

استنادا لمعطياتي يومي، لا ارى أي مانع أن أُدخل أُناس جديدة لحياتي.. فما اردته هو عالم جديد.. بعيد عن كل ما آلفته روحي من وجع

أردت خلق عالم خاص بي، بعيد عن الراحلين..

حين دخولي هذه الشركة، قررت وبشدة أن اجعل نجاحي ينبع من هذا المكان.. وأن حياتي ستنير بعد أول خطوة لي هنا..

لم ادري أن الألم سينبع وتظلم الدنيا أكثر فاكثر..

تمر فترة التدريب قبل البدء في العمل، يطل "نوا" في حيـاتي فجـأة، ولم ادرك اني انجرف وراء تيار بعيد جدا عن ما اردت ويحصل التالي..

* * *

"نـوا"

توقفت للحظة بعيدة عن كل ما أنا فيه..

اردت أن يتوقف الزمن هنا، لم أرد أي شيء في حياتي سـوى النظـر لها.. كانت حور للجنة تلك الحور!

و لم يعد بإمكاني مجرد التفكير أن اكمل ما تبقى لي من حياة بـدون نورها ليقشع ظلام الامس..

راح ألم الماضي والذكريات السيئة.. وحتى انا.. لم أكن ملاكـا، كنـت اقرب ما يكون إلى ذئب قد جعلته الأيام فيلسوفا، فرحـت أطلـق أحكامـا عن كيفية اعتبـار الفتيـات فريـسة، وكيفيـة الوصـول إلى أجمـل فتـاة في غضون رهانات كنت دائم الربح فيها.. أمضي وقتي بكل متعة، أُنهي مـا اشتهته نفسي بكل رضى، واترك ورائي بقايا فتاة.. وامشي مبتعـدا بـلا أن انظر لوجهها كي لا تلمس قلبي شفقة على حالهن..

كرهت جنس النـساء، اردت الانتقـام مـنهن وبـشدة، ولم يكـن لـي اعتقاد أن – ولحد ما – واحدة منهن بريئة ،ولم يكن لي نية بحمل شفقة لهن ابدا..

رميت وانا في مهد احاول تخزين اكبر صور لأمي، لم تترك لي فرصة لفعل هذا حتى..

راحت تضع طبقات من القماش فوق عيني كي لا ارى مدى قسوتها وهي ترمي بي في بيت أبي بعد أن اجبرت على تركنا..

و في هذه القصص يُكَن للأهل الإثم الأكبر..

أطلق أبي حكما بنفي بعيدا عن كره الأقارب، وانطلقت رحلة الألم من هنا..

بلد غريب، لهجة غريبة، ومجتمع بعادات لم يألفها من هنا، حين اجبرت على العودة ها هنا!

و عشت اياما بعيدة جدا عن الراحة.

كان لي منطق لا يمت بصلة لمن هم في حارتي، اعيش لنفسي ولمتعتي والنحت، لم يعجب أبي منحوتاتي التي كانت دائما ما تأخذ شكل فتاة على عنقها يدان تهم في خنقها وايدي عدة تقتحم ما تبقى من جسدها الذي لم ارد لها أن ترتدي سوى المها، فتظهر علامات من الحقد والاعين هنا وهناك..

في احدى معارضي هناك حدثتني احدى الزائرات: ارى حقد دفين في عيناك تغزو منحوتاتك تجاه الفتيات، هل تم اغتصابك يا فتى!!

لم تكمل معي يومها إلا بنهاية بشعة مثل غيرها.. وبرضاها.

لم اكن اعرف عن الله سوى انه اراد لي أن اخرج من رحم امرأة لأهاجم امرأة اخرى وأخرى وأخرى

لم اكن قريبا جدا من أحد.. لم يتقرب مني أحد إلى وهلع وركض بعيدا بدون أن يلتف وراءه حتى ليرى مع من كان

عشت لأُرضي ذاتي السادية.. لحين اتت من حطمت جميع أسوار الحقد وبنت في مكانها حدائق من نعيم وعدن..

كان لمرورها تأثير خمر الجنة، والذي حلمت ولمرة انني سأتذوقه رغم اختلافي الكبير مع خالقي، والذي جعلتني أتصالح معه..

هدأت من روع الشيطان الذي يقطنني، وجعلته يتوب ويزور محراب العشق الالهي على ما ابدعه من خلق الجنة على هيئة انسان!

لم أُرد من هذه الحياة سواها..

تمر من امامي مرور الكرام، ولا الحق إلا بطيف فتاة لم ترى بعينيها سوى الفقد والوداع..

قصدت معرضي في غفلة من متاعب الحياة، وكأن القدر ساقها لملاقاة معاناة اخرى كما وصفتني لاحقا..

ارنو إليها بتعجب حين وقفت شاردة الذهن لتمثال يحمل من ماضيها كثيرا، عبارة عن كل ألم لم يستسلم وفرح قُتل قبل ولادته

يأخذ شكل فتاة وكأنها تولد من شجرة، وظهرها وكأنه تلك الشجرة، وتنظر للسماء بألم مغمضة العينين، وكأن هذه الفتاة تعلقت روحها بوطنها وأخذت الحياة باقتلاعها من جذورها..

اقتربت منها بكل هدوء..

نوا: أنا حابب اتعرف على الي خلى روحك موجوعة.. نفسي تبقي جنبي!

حور: عفوا.. انت شو قصدك!

نوا: أنا قصدي ممكن تزوري مملكتي، اعرفك على منحوتاتي، أنا بعتربهم زي اولادي تمام.

ينقلب الهواء لاوكسجين بنسيم الورد حين تطلق ضحكاتها..

حور: انت مجنون.. في حدا بيعمل اصنام، ولادو!!

نوا: لأ.. كده أنا هزعل منك.. دول هم بيعبدوني عشان أنا خلقتهم!

حور: استغفر الله، شو عم تحكي انت يا زلمة!!

نوا: هو أنا بقيت صنم يعني وبقيتي تناديني "زلم" يلي هو رب قريش.. أنا قلتلك هم بيعبدوني عشان هم مكانوش قبلي وانا الي اديتهم الحياة..

حور: ههههه، لك يا أهبل زلمة يعني يا راجل، وبعدين انت وين كنت قبل ما تستوعب حالك، مين يلي خلقك وعطاك الحياة!!

نوا: أنا عارف مين هو.. بس مش عارف اتواصل معاه عشان هو بعيد قوي..

حور: قرب منو منشان تعرفلي طريق!!!!

حور.. نوا.. تشرفت بمعرفتك

راحت كلماتها تجري مجرى الدم، بل استبدلته حتى، لم اكن اؤمن بهن ولكن هي اهدتني ذاك الشيء الخفيف، الجميل والذي يسكن وجدانها مذ خلقت "الحب"!!

جعلتني اؤمن بها، عبدتها، وشاركتها الخالق في الصلوات التي كانت تتلى لها صباحا وعشيا..

لم يكن في بالي وخاطري سواها..

لم يعرف قلبي الحب الا لها..

لعنت كل لحظة قبلها، و ما دريت إنها لعنتي الكبرى!

* * *

"حور"

جالسة في احدى زوايا المنزل الكبير، والصغير في آن..

و بالرغم من وسعه، الا انه ضيق، يكبت الانفاس على صدرها فتختنق وحيدة في بحر من الافكار..

تأخذ من الارضية كرسي مريح لها وتنظر من خلال نافذة لسماء

رحبة، تتسع لكل النجوم والكواكب والشموس التي كانت تعـيش بعمـر يفوق 800 مليون عـام وانتهـت حياتهـا مـن مليـون عـام، ومـا نـرى الا بقاياها!..

لطالما اذهلتني فكرة كم أن حجمنـا وعمرنـا قـصير وصـغير بـشكل لا يحتمل في هذا الكون الواسع، وكيف اننا نرى شيء قد مات فعلا!..

تمنيت كثيرا أن اراكم..

عينان سارحتان في اللاشيء كالعادة، وقلب قد تجمد في ركن ما، فقد في احدى ليالي الحرب كما فقد السلام في أرض وطني

بعيدا في احدى تلك الليالي، فقدت نفسي..

لم ادرك انني قد وجدت الحياة في وسط كل الموت.. هـو مـن وجـدني ولم اجدني الا فيه، ومعه..

* * *

<u>دمشق، سوريا</u>

10:00 صباحا

حور: صباح الخير واميتي، يلا القهوة جـاهزة وعـم شـغلك الـبلاي ليست تبع اغاني فيروز يلا.

آمنة: لا تحطيلي اغاني هادية وشعر عربي وحزين.. لسا الدني صبح وخلينا رايئين دخيل الله، بدنا ننسى شوي صوت الرصاص تبـع مبـارح، والله تلفت اعصابي!

حور: ماما، الرصاص الو يوم ويخلص، ويرتـاح بالنـا.. بعـرف انـو نحنا تعودنا نصحى ع صوت العصافير يلي بالجنينة يلـي تحـت البيـت يلي كانت تنافس صوت فيروز ع الصبح، بس بعد مـا هَجِّـت هـي كمـان وراحت ع مكان مافيو حرب، مِتل ما اختفى صوت بيـاع المـازوت والغـاز و.. و..

بس الله يرجع كل شي كان متل زمان واحسن

آمنة: أنا خايفة نخلص نحنا قبل ما تخلص هالحرب!

حور: امي، دخيل الله روئـي، ع الاقـل مـافي شـي جنبنـا، كـل شـي بعيد، كل الاصوات بعيدة

آمنة: خالتك قـالتلي اشـترو ربطـات خبـز ومـوني اكـل بـالفريزر، الضرب رح يوصل قريب ع المدينة

حور: امي، مستحيل يوصل لعنا.. نحنا بالعاصمة، اذا وصـل لهـون يعني خلص الدنيا خربت والكل بخطر.. بس هالشي بعيد كتير

آمنة: الله يستر، يلا تعـي نـشرب القهـوة بالبلكونـة، صـحي بـدي فرجيكي، طلعت وردة جورية جديدة ولونها بياخد العقل "ابيض"

حور: عنجد حلو كتير يلا نشوفا، ها وهي بابا ليكو صحي كمان..

صابر: صباحو يا حلوين

آمنة: يلا تعا منشان تشرب القهوة معنا

حور: شو هاللون، سبحان الله شو حلو، هي اول مرة بتطلع هاللون، ابيض بابيض

آمنة: يارب تحمل هالوردة السلام لبلدنا، حاكم تعبنا

جلسنا وكما غيرنا لا نخشى رصاصة مقصودة من عقل طائش ولا من قذيفة مسمومة بالحقد ضد السلام..

لم ندري إنها آخر مرة..

كالعادة! وقبل كل نائبة، يسكن الوقت ويصمت الجو، وتتحول كل الالوان إلى اللون الرمادي، يتحول كل فعل إلى ردة فعل ابطأ، ويحول بينك وبين النجاة، التفكير..

من انقذ، نفسي ام احبابي ام كلانا؟.. و ذاك يوم يفر المرء من اخيه، وامه وابيه!!

تتحول كل الأعين إلى مكان ليس فيه حرب، إلى السماء..

تدعو الله أن نرحل كلنا سويا، كي لا يحرق قلب احدنا على آخر قد اسعفه الموت ونجا من الحياة!

انظر إلى أمي فأرى عينيها قد اتسعتا بشكل جنوني وكأنها رأت عزرائيل يسابق تلك القذيفة..

كان أبي في واجهة تلك المصيبة الطائرة وقد أعطاها ظهره غير آبه

بسماع صوت ذاك الصفير البشع، وأمـي ستـستقبلها بـصدر رحـب علـها تأخذ بيدها لابنها الذي لم تراه حين خطفته الحرب كغيره من الشباب، بلا رجوع ولا مكان نبحث عنه حتى ومع العلـم انـه قـد دفـن في احـدى المقابر الجماعية والتي لا يعرف أحد اين تقبع.. تماما لجنود لم يخـدمو الا ارواحهم حين اخلصو لها ورحلو بها من هذه الاحداث!

تقفز بسرعة جنونية أمي وتدفع بي بشكل عنيـف إلى داخـل الغرفـة وتغلق باب الشرفة الزجاجي وتتبعه بالخشبي..

لا أستوعب ما يحصل، ويصمت كل شيء في لحظة..!!

أرى الدمع وقد سابق الدم، أرى أمي وأبي وقد توشح جسديهما بهالة من النور، والمح جابر من خلفهما مبتسمًا، يشير لهما بيديه بكل لطف، هلما معـي أيـا صـاحبيّ الحيـاة الأبديـة، والنعـيم الـسرمدي إلى داركمـا الآخرة..

انظر لهم بكل رضى، تكتسي روحي بـسعادة لم اشـهدها مـن قبـل، ولكن.. لِم لَم يدعني جابر أيضا!

لم أنا جالسة بينما هم يقفـون، سأحاول اللحـاق بهـم بـسرعة كـيلا يخلفوني ورائهم، كي لا أخاف ولا أحـزن، وكـي يستبـشر كـل شـهداء وطني..

أنظر إلى نفسي ولم لست قادرة على الحـراك، فـلا أرى لـي قـدمان،

وكأني غرست في تربة مسقية بالدم.. أصرخ وأنادي:

– ماما.. بابا.. جابر.. لك وين رحتو وتركتوني، تعو منشان الله خدوني معكن.

ينقطع صوتي ويختفي واصرخ بلا ضجيج، اصاب لوهلة بنوع من الهلع..

يسدل حجاب بيني وبينهم، ويطغى على المكان لون الدم ودخان البارود البشع، اختنق واسعل بكامل قوتي كي اخرج روحي علها تطير فتلحق بهم.. علها تلمس منهم اشارة بأن الوداع ليس الان..

و أسمع اصوات رصاص في كل الجوانب، واختفى كل شيء مرة اخرى، وساد الصمت.

* * *

"حور"

بسم الله، لك لايمتا أنا رح ضل متزاعلة أنا والسرير.. ايمتا رح نام فيه..

تستيقظ وآثار الذكريات اخذت بالتشكل تحت عيناها فخطفت لون الليل الذي ارق مضجع الراحة بالتفكير..

تنظر إلى ساعتها فترى إنها العاشرة صباحا..

يا لها من ساعة مشؤومة!

يلازمها الصمت، فما كان لها من حليف وفي غيره، يكتمل المشهد في بيت خال الا منها..

تسابق التفكير وتركض كي تلاحق عملها، دائما ما تذهب باكرا، كي تترك فيروس التفكير القاتل خارج اسوار الشركة..

تفتح جهاز الحاسوب، وتبدأ يومها بلا ملامح، تلحظ لجين غيمة سوداء تحيط بحور، تتنبه على الفور أن شبح الماضي قد تلبسها وتقترب بكل حنان وتقبل رأسها بينما عقل حور خطف إلى ما وراء الذكريات

و بتلك اليد الحنونة تربت على كتفها وتهديها حضن من الحنان المفقود..

تخرج حور من تلك الحالة، ترتدي ابتسامة مزيفة..

حور: كيفك يا لجين، ايمتا ايجيتي، ما شفتك!

لجين: انت اصلا مش معانا النهارده.. أنا خاسة بيكي يا حور متخبيش

حور: أنا منيحة صدقيني، بس راحت علي نومة ولسا ما صحصحت..

لجين: أنتِ اكلتي اصلا!!

حور :..

لجين: كده مينفعش، تعالي نفطر سوا

حور: مو جاي ع بالي صدقيني

لجين: ابقي اجي على بالك تاكلي يا حبيبتي عشان كده هتختفي اكتر ما أنتِ مختفية اصلا!

انتي مش شايفة نفسك يا بنتي.. أنتِ بقيتي شبه حور..

يلا بقا..

حور: بس منشانك، بس ما بوعدك اكل غير لقمتين.. حتى ما خجلك

لجين: يا ستي أنا قبلانة تخجليني المهم تدخلي اكل لجواكي.. أنتِ اصلا ايمتا آخر مرة اكلتي.. في سوريا

ترسم ابتسامة صغيرة على شفاه لم تدقها من عمر..

* * *

"نوا"

يتقدم نوا بخطى يملؤها التردد، وهو الذي لم يعهد ذاك الشعور في حياته، يلمح حور تجلس ويغمرها غموض جميل، شيء ما لا يدري ما هو يسرق منها لحظاتها، يومها، ونفسها..

و لم يجد الاجابة لذاك الفضول..

قرر اخيرا أن يتوجه نحوها وسألها بعين يملؤها عشق.. نظرت لعيناه في ذهول للحظات، تشبه هذه العينين..

تشهد تلك الكافيتيريا لحظة صمت خجول.. لحظة من التحديق الساكن، و كأنها لحظة رؤية لأول رائد فضاء.. تلك الجوهرة من بعيد..

نوا: ازيك يا حور؟

حور: أنا بعرفك!!

نوا: أنتِ نسيتي..

يعود الصمت ليسيطر على الاجواء..

لجين: في ايه يا جماعة، هو انتو تعرفو بعض ولا ايه!

نوا: صديقتك بتقابل ناس كتير.. هي شافتني مرة وحدة بس، بمعرض ليا.

لجين: انت رسام!!

نوا: نحات..

لجين: واو، مقولتليش ليه انك بتروحي تحضري حاجات جميلة زي دي!

حور :..

نوا: أنا مأثرتش فيكي.. ولا حاجة من المعرض علقت ببالك!

حور :..

لجين: يا.. عفوا، ما اتعرّفناش

نوا: خلي حور تقلك!

تنظر حور بذهول اليه..

حور: بس أنا ما قلتلك شغلي وين!.. كيف عرفت اني بشتغل هون؟

نوا: مفيش داعي، كان يكفي اني ادور ع صاحبة اجمل روح.. فلقيتك.

لجين: يووه.. كفاية بقا.. انت هتشتغلها؟!

نوا: أنا في زيارة لحد من صحابي.. احنا ممكن نبقى صحاب يا حور!

لجين: انت فاكر نفسك مين انت عشان تقرب من حور، دي مش زي أي بنت اظن انك تعرفت عليها!!

يتلبس نوا صمت محرج وكأن جرائمه مع النساء ذات رائحة، تفوح منه بقرب أي انثى اخرى..

حور: ممكن لو سمحت، انت مو قد هالمكان يلي رح تدخلو.. أنا مش قد يلي رح تعملو

نوا: خليني اجرب!

حور: دخيلك.. بعد عني

نوا: أنا هسيبك لوحدك تاخدي قرار.. أنا بس عايز اسمع منك أنا عايزك صديقة بس والله

حور: شكلك ابتديت تعرف طريقو!

لجين: انتو هتجننوني، حد فيكم يحكي الي حصل!

حور: ما تقلقي.. تقابلنا بمعرض وحكينا شوي وبس

نوا: مش بس.. مكنش بس ابدا.. أنتِ سرقتيني مني!

تنظر حور إلى نوا بنظرة حزينة أن ابتعد.. اطلق روحك بعيدا عني، لست أنا من ستحب أن ترى تشوهات الحرب داخلها..

حور: عن اذنكن..

تبتعد حور بكل رقة من المكان لتترك الآلاف من الفرص ورائها، متنبئة أن الموت سيخطف كل من يقترب منها..

لجين: نوا.. انت مين، عايز ايه!

نوا: أنا عايز حور، هي مش أي حد..

لجين: حور قصتها قصة

نوا: وانا حابب اسمع

لجين: يا نوا انت مش هتعرف كتير لأنك لو عرفت كتير هتزعل.. حور وحيدة

نوا: ازاي يعني، فين اهلها!

* * *

دمشق، سوريا

11:15 صباحا

افتح عيناي ببطء لم اتعـود عليـه وكأنهمـا لا تريـدان أن تريـاني مـا حصل.. ابدأ باستيعاب ما حـدث، أرى زجـاج محطـم وخـشب لا يـزال يحترق، ودخان اسود اتخذ من الحائط الذي امامي مسكنا جديدا..

و كما في رؤياي، لا استطيع النهوض.. احاول الصراخ فلا يخلـق لـي صوت، انظر الي يميني فتتملكني الصدمة، يتملك كياني احساس يطيـل من عمر تلك الغصة التي نشبت في صدري، مرآة تعكس واقع، مـستقبل، وألم..

أرى قـدماي وقـد علقتـا تحـت عـامود مـن المنـزل وقـع جـراء ذاك الانفجار، أحاول أن ادرك ما جرى، هل هـذا ككـابوس كـل يـوم، فمـن جَرّاء الأصوات اصبحت لا أهنأ بليلة خالية من أبشع الكوارث!!

أصمت للحظة.. يسري في عروقي وبسرعة الضوء ذاك الادراك المقيـت لما سأعيشه خلال الدقائق القادمة..

احاول أن احرر نفسي من ذاك العامود الثقيل واصرخ بكل ما اوتيـت من موت.. "ماما.. بابا"

أدرك أنهما خلفاني ورائهما، ولحقا بأخي..

أحرر نفسي جاهدة بعد صراع مـع وجـع لا يطـاق.. وجـع النـبض في

قلبي بعد رحيل الأحبة..

أتحرر وأزحف كفريسة للحياة قد أخفقت من النجاة منها..

أُبعد حطام بوابة الشرفة..

تحترق يداي فما زال الخشب يشتعل كما روحي، ولكن لا إحساس ولا ألم اشعر بهما الآن..

توقف أيها الكون، توقفي أيتها الأنفاس..

أبتعد مرغمة عن هذا الكوكب، لم أعد هنا، من هؤلاء!!

تتقدم بهدوء وكأن الوقت ارغم على التباطؤ..

تجمع ما تبقى لها من والديها.. وتنام نوم أبدي وهما في احضانها..

* * *

"يحيى"

عشت لحظات مقيتة مذ بدأت هذه الاحداث، كنت دائم القلق على امي، فلم يعد لها سواي، ولم يكن قبل هذا احد!

و لكنها كما البشر.. رحلت ايضا.. ولم يكن للحرب يد في هذا..

و علمت اني سألحقها سريعا!!

لا يزال عملي كمسعف يجعلني أكثر عرضة للموت من الأشخاص الذي أنقذهم..

و خصوصا مع هذه الحرب التي لم ترحم أحد، كنت وفي بعض

الاحيان اسعف قططا وكلابا قد اصيبت بشظايا انفجار أو قذيفة الموت..

لم يسلم أحد..

حتى الياسمين!.. فقد صبغ بدماء محبيه.. و حتى تلك الوردة البيضاء، اخذتها معي كي تشهد بعد انتهاء الحرب على نقي هذه الأرض من أي دنس..

تلقيت يومها اتصال عاجل بأن قذيفة اصابت شرفة منزل في حي الياسمين، ومن شهادة الجيران، كانت العائلة تجلس فيها، وانهم لاحظوا وجود شخصان فقط، وأن دماء قد رشقت فلونت ورود تلك الشرفة..

ذهبنا باقصى سرعة نسابق الموت لنأمل وجود نوع من الحياة، لم نسلم من الحواجز التي شوهت جمال وجه دمشق، فكانت كندوب الحرب.. ارتمت في كل مكان

استطعنا النفاذ بعد العلم أن الانفجار داخل دمشق نفسها..

و مع وصولنا، علمنا إنها قذيفة واحدة.. واصابت قلب واحد فقط و الذي كان ينتمي لفتاة ملقاة في شرفتها ممسكة بأشلاء والديها بيدها وباليد الاخرى.. جورية بيضاء، صبغت بدماء احبائها..

لم يكن مشهدا سهلا.. كان من اصعب ما ألفته ارواحنا..

لم نستطع الكلام مع احد، وبكل حذر حملناها واخذناها بعيدا عن

تلك المحرقة..

امسكت بيدها، تملكني احساس بأن هذه الفتاة ستصبح كل مـا اريـد من حرب بائسة لم تترك لها ولي أحد..

* * *

(5)

هناك حلم، لا نرغب بالاستيقاظ منه، وكأنه لعنة قد اصابتنا..

"سيف"

باتت لجين تشكل جزءًا لا يتجزأ من يومي الخالي من الألوان، كانت الطيف الذي يبعد عني أبشع أنواع الملل..

لم يضفي وجودها إلا حياة إلى موت، اعيشه يوميا..

لم اكن ممن يفضلون الاختلاط بأناس لهم القدرة على المشي، بينما انا تغمرني شفقة من ينظرون الي..

حتى في العمل، تفوقت سريعا بما امتلكه من ذكاء على رفاقي، وأُخذت إلى قسم اخر..

عملت ليل نهار، وكان للجين النصيب الأكبر في أيام عطلتي، كما إنها وافقت عطلتها لتكون معي.. ونخرج بعيدا عن أجواء الحياة الشديدة..

سيف: لجين، أنتِ لي بتحبيني!!

لجين: عمرك فكرت تكسر الخوف وتمشي!!

سيف: أنتِ بتقولي ايه؟

لجين: بص.. نحنا دلوقتي رايحين البحر، عايزاك تخلق من اول

وجديد اليوم..

سيف: إنتِ اتجننتي صح؟.. أي الي هيخلينا نروح البحر دلوقتي، يا ربي أنا عملت فنفسي ايه، أنا حبيت مجنونة!!

تضحك لجين بما اوتيت من فرح بعد حزن طويل..

تسرع بقيادة سيارته لتصل قبل بزوغ الفجر

* * *

تصل السيارة بهدوء تام على رمال الشاطيء، تطفيء الانوار، وقد طغ اللون الكحلي على سماء ذاك الصباح، معلنا قدوم شمس لا تزال تختبيء خلف تلك الامواج..

تخرج من سيارتها حافية القدمين، لا تنظر خلفها، يغرق سيف بالتفكير.. بماذا تفكر هي ايضا!!

تغوص قدماها بين الرمال الباردة لذاك الفجر.. وتقترب بخجل من الموجات التي تتطلع للمس أطراف أصابع تلك الحورية..

تنظر لسيف وهو داخل السيارة في حين لم تخرجه منها، ولم يستطع النزول.. هو في انتظارها لتفتح له بوابة الحياة..

تبتسم بنوايا خفية للبكاء، تشيح بنظرها عائدة للموج الذي صادقها منذ أتت وراح يمتد أكثر فاكثر إلى أن لامس وجهها، لم تدري إنها تُسحب اليه رغمًا عنها..

تفلت روحها، وترخي جسدها، تنظر للسماء المتناثرة فيها قطع من الألماس النجمي..

لم تعد تسمع صراخ سيف وهو يناديها ويترجاها أن لا تدخل فالموج لا يرحم.. و البحر يحب استضافة من كانت ارواحهم حزينة بلا تردد

تترك لروحها حرية الانطلاق وتصرخ باعلى صوتها، فتطلق اه لم يسمعها سواه في حين كانت مختفية داخلها من سنين.

* * *

يلاحظ سيف موجة عالية قادمة باتجاها، وهي التي لم تعد هنا، لم تلحظ إنها على وشك الغرق، لطالما كرهت الماء!

تتجمع أسوأ السيناريوهات في عقل سيف، ويحاول جاهدا أن يجعل صوته مسموعا في عالمها، ولكنها لم تعد هنا..

يفتح باب السيارة ويرمي بنفسه منها، ويستمر بالزحف على الرمال..

و يعلم سريعا ألا رجاء لصراخه.. يصمت للحظة.. ينظر برجاء لقدميه.. تحركي..

توقفي عن خيانتي..

لقد احتويتك عمرا ولم تضيفي لي الا شقاءا..

ان لم تساعديني الآن فأعدك بقطعك لاحقا.. لم اعد ارغب بوجود

حمل زائد علي.. يصرخ عاليا.. *هيا*

يقف أخيرا، قدمان ترتجفان كما القلب..

و لم يعد شيء يفصله عنها سوى بحر.

* * *

<u>في غرفة الإسعاف..</u>

الدكتور: ماتخفش هي كويسة دلوقتي ولازم تفضل تحت المراقبة لمدة 48 ساعة.. و انت لازم تكشف كمان!

يقف بكل شموخ، يتكئ إلى الحائط قليلا بعد أن هدأت انفاسه، وبعد أن اطمئن إنها بخير، يدرك أن رحلة المستشفيات انتهت بالنسبة له..

سيف: مفيش داع، المهم.. اقدر ادخل اشوفها

الدكتور: تفضل..

سيف: شكرا..

* * *

<u>مستشفى الشام</u>

يمتليء بمن اصابتهم الحرب بشظايا وندوب لن تمحى.. ولو لم تكن جسدية، بالطبع ستكون نفسية!

نحن شعب اقوى من يتم هزيمتنا، عزيمتنا ابقى، وطموحنا لاحلال السلام لا يقارن باي معاهدة للسلام.. باتت السياسة المتحكم الرئيسي في هذا الكوكب، لم يبق شيء الا وقد سيس..

حتـى عقـول الاطفـال لم تـسلم مـنهم، فـراح الاصـدقاء في حيـاتهم يتفرقون والجيران يتذابحون، والاحباب يتنازعون.. وحتـى الاقـارب لا يجتمعون مرة اخرى في نفس الوطن..

هاجر العديد مـن الاشـخاص مخلفـين ورائهـم عمـر، حلـم، وبقايـا اماني.. لا يدرون أن ما تبقى أبقى.

لم يسعفهم ادراكهم أن المكوث في حـضن الأرض الأم سـيعافيهم، وإن طـال الوجـع، لم يريـدوا التحـدث إلى انفـسهم بعـد هجـرتهم تلـك عـن اوطانـهم التي ضاعت بين مؤيد ومعارض..

و ما اجملنا من شعب احب "الرواء" ولكن كل شيء اختفى!

أؤمن بشيء وحيد..

أننا لن نبقى ها هنا في مكاننـا هـذا، وإن متنـا في غربتنـا.. سـتحمل ارواحنا السلام للشام.. و سنبقى على الوعد، وسنرجع يوما!!

تستيقظ حور.. تفتح عينيها للعالم الجديد الذي بدأ مع انتهـاء آخـر يوم لها في ذاك المنزل الذي احتوى ثماني سنين من العناء بعد غربة تمت منذ الولادة..

لم تلبث أن اعتراها الهناء اخـيرا بـالعودة للـوطن، الا أن الـوطن قـد لفظها خـارج احـضانه المللئـى بالـشوك، لم يـرد لهـا المكـوث، اراد لهـا الذهاب بعيدا، أن تتعافى، من ثم تعود ليصلحا سويا كل شيء..

تنظر بعقل غير واع إلى سقف الغرفة، تحرك رأسها إلى يسارها فتجد اجهزة عدة لها اصوات غريبة..

تشيح ببصرها لنقطة ابعد، فترى من خلال النافذة، حديقة مليئة باناس يلبسون الابيض..

تحرك قلبها فبات يرقص بشدة، تأملت أن ترى والديها خارجا، فهما كانا يلبسان الابيض آخر مرة رأتهما.. تغمض عيناها علها ترتاح..

يدخل مسرعا طبيب وممرضتين، يقيسون المؤشرات الحيوية لحالتها بعد أن اطلق جهاز الانذار أن هذا القلب سيلحق عما قريب بمن سبقوه..

يلحقهم يحيى وبلهفة اراد لها أن تتمسك باي حبل للحياة ولو كان بقصير لتعود للواقع، فقد مضى على غيابها عدة شهور وهي راقدة في عالم بعيد عن عالمنا.. لا يعلمه سوى الله..

يرن الجهاز بصفير أشبه بصفير الموت الطائر والذي اخذ احباب كثر لنا..

يفقد الأمل كل من في الغرفة ما عداه.. و يتراءى لها أن والدتها امسكت اخيرا بيدها.. ويهم جابر بمسك اليد الاخرى.. تبتسم بكل رضى.. على وشك النهوض والهرب معهم بعيدا عن هذه الحرب الشنعاء.. وثُقلت يداها وتجد نفسها ترمى في قاع اسود لا قرار له.. وتصرخ لا/////

يضغط وبقوة على قلبها.. يحيى: يلا حور، يلا أنتِ ما رح تموتي هلأ.. بدك ترجعيلي، يلا قومي.. يلا فتحي عيونك..

انتي اقوى.. انت اقوى من كل شي مر.. انتي ضليتي قوية كل هالمدة يلا.. يلا ...

* * *

"لجين"

وكما أن اقدارنا جمعتنا سويا.. قد رتبت لنا احداث مشابهة عشناها وسنعيشها سويا

* * *

افتح عيناي على اجمل مشهد كان من الممكن أن اراه.. تمنيت كثيرا والححت بالدعاء لربي أن ارى هذا المشهد ثم يقبض روحي ثمنا مقابلا له..

لم ادرك أن الله كريم لدرجة أن يخجلنا بعطائه فلا نستطيع شكره حتى في أكثر اللحظات فرحا..

لجين: سيف.. انت

سيف: ششش.. يا مجنونة خليكي ساكتة

لجين :..

سيف: الحمد لله على سلامتك، خوفتيني عليكِ

تغلب الدموع ابتسامة لجين فيما تراه.. شامخا كالجبل، اعطاه الله

طولا قد اكسبه هيبة ووقارا.. ثابت بعد كل ما مر بـه..

لا ادري بما يحصل حولي الآن ولا لما أنا هنا اصلا.. كل ما اراه سيف فقط..

لجين: سيف.. بحبك

اغمض عيناي بكل راحة، لم ادري أن دوري انتهى الآن في حياته..

يقترب سيف بكل هدوء مني، يطبع قبلة رقيقة على جبيني.. يمسك يداي.. مضى اليوم كاملا وانا لست بقادرة على البقاء مستيقظة، شيء ما ارغم جسدي على النوم.. و كأن التعب قد انتصر علي أخيرًا.. ونمت.. و أنا التي لم تنم منذ دهر..

و قررت الذهاب للبحر كي اشكيه.. ووجدت البحر قد استقبلني بالفعل ولكن بطريقة قد انهكتني..

ليس الحب هو ما ينقذك، فاحيانا الحب الكثير قد يغرقك فتهلك نفسك اثره، ولن تجد روحك بعده أبدا ما حييت

و كنت انت بحري يا سيف.. فأهلكتني.

* * *

"حور"

بدأ الضوء يتسلل مجددا إلى عيناي، اسمع بكاءا وصراخا حولي

لم ادر مِن مَن ولمِ يحزن علي أحد قط..

فما ادركته انني وحيدة الآن في كوني، ادور كنجم محترق سيخبو يوما ويختفي..

افتح عيناي، فأرى شاب اتخذت الملائكة هيئته..

حور :..

يحيى: حور، أنتِ منيحة، عم تسمعيني!

لساني ثقيل، لا استطيع النطق ولا ادري أن دام هذا الحال..

يحيى: أنتِ بالمستشفى، صرلك سنة.. بس أنتِ منيحة هلأ ومافي شي خطير.

حور :..

يحيى: ارتاحي، الحمد لله ع سلامتك.

من هذا، لما ارسله الله لي.. لا يا ربي أنا لا اريد أحد بقربي، لم اعد احتمل الفقد.

* * *

لجين: أنا مش قادرة استحمل.. أنا مش عارفة اعيش، لا اكلي اكل ولا نومي نوم، أنا حتى مش عارفة اشتغل.. هو ليه عمل فيا كده يا حور!.. انا جرحتو فحاجة؟..

حور: يا حبيبتي.. طولي بالك، كل انسان الو عذرو، بس أنا كمان ما بعطيه عذر يعمل فيكي هيك، أنتِ اطيب انسانة أنا اتعرفت عليها..

حتى ما بتأذي نملة!

بس هو هيك يا لجين.. يلي ما بيأذي حدا.. الكل بيأذيه!!

لجين: هو الوجع وهو الدوا

حور :..

لا ادري إن كنت على معرفة بحقيقة حجم اوجاع الناس من حولي.. فانا الفت اوجاع اقسى، فما عاد بالامكان أن احس باقل من وجعي..

و لكن لجين مختلفة، قدرنا واحد، خيبتنا واحدة.. والمنا واحد

لم يعد في هذا القلب متسع لجرح اخر..

يكفيني ما قد حل بي..

سأرحل قريبا يا لجين.. اريد الهروب من كل هذا الالم، فمن سيحمل عنك وجعك هذا، من سيسرقك من الملك..

سأتذكر كل لحظة قضيناها في منزلي محاولين نسيان من خذلونا والعيش كفتيات طبيعيات..

نشاهد افلامنا المفضلة ونرقص عل الشروخ التي في داخلنا حتى تنزف الوجع فيختفي..

قضينا لحظات عدة، جنون، فرح، بكاء، وحزن.. والكثير من الدموع والضحكات العالية.. يا ليتك تستطعين الهروب معي بعيدا عن هنا..

حور: يصطفل!!

لجين: عفوا هي أي دي بالضبط!!

حور: يعني ما ترجمتلك شي من اول ما عرفتك وانتي اصلا صرتي رفيقتي انك ما بتطلبي ترجمة.. وقفتي عند هي!!

تضحك لجين بخفة فراشة خلصت للتو من لهب الدموع.. وما زالت قيد الابتسام

لجين: أي اخبار مختار!!

حور: مختار انسان ما بيشبه حدا، حتى لو ما حكينا سوا.. بحسو بيطمن علي ع طول بعيونو من بعيد

صرنا نطمن ع بعض ع طول بنظراتنا الخجولة

لجين: حبيبتي

حور: تعبت

لجين: أنا اسفة

حور: حالتي النفسية عم تتراجع، وعم اكره الحياة

حاسة اني رح موت عن قريب بسبب التفكير، سيفتك بي قريبا

لجين: لا يا شيخة، أي دي سيفتك وبفتك.. أنتِ شكلك جعانة، قومي ناكل يلا

حور: لك تضربي شو غليظة، يعني ضيعتيلي بريستيجي وانا عم حاول اعمل حالي مكتئبة ههههههه..

لجين: أنا حاسة بيكي جدا.. أنتِ جعانة، يلا قومي ناكل

حور: أنتِ الجوع سيفتك بكي يوما ما..

لجين: اه طبعا طالما أنتِ بتجيبي سيرة البفتك ع طول قدامي كده طبعا هموت من الجوع.. يلا بقا

حور: يلا

* * *

(6)

لا يحق لنا الاختيار في كثير من المواقف في هذه الحياة.. ولكن ما إن توقفت الحياة في قلبك.. فمن حقك الاختيار

تذكر.. انت مخير!

"مختار"

أُمسك بصورتها، أحاول أن اجمع قدر الامكان ملامح لها داخل جفوني قبل أن امحي هذه الصورة من هاتفي، حور..

مذ لحظة دخولها إلى عالمنا، تغير كل شيء.. باتت الألوان أكثر سطوعا، والهواء امتلأ بنسيم الجوري والياسمين الدمشقي..

أصبحت الايام أكثر رقة ولطفا..

لك أن تتخيل ما يكون عليه بيت مهجور، دخلته لمسة ملائكية، مليئة بالشغف، طموحة، أرادت أن تجعل من نفسها ايقونة لغيرها من الكثيرات دون نية منها، بيضاء الروح كما القلب.. لم يشب روحها ضغينة ولا حقد..

و لها لهجة لطيفة، تجعلك تريد أن تستمع لها كل اليوم..

أجل.. كانت تحب الحديث إليّ..

من الممكن أن الكثير من الكلام كان محبوسا في قلبها بعد كل ما مرت

به.. و وجـدت عنـدي القلـب الـذي يـصغي باهتمـام، بـلا مقاطعـة، ولا شفقة، والتي لطالما كرهتها..

في أول لقاء لنا سويا، امضينا مـا يقـارب الأربـع سـاعات نتحـدث.. فقـط، جلـست بمكـتبي ودعيتهـا بعـد أن انهـت عملـها أن تفـضي الـي بسريرتها لأني رأيت الكلام يفيض من مقلتيها والحزن يرافقه، وكأن لم يُرِد أحد الانصات لها!

* * *

"حور"

لم يكن من السهل أن أرى بلادي تتهاوى أمام عيناي..

يومًا بعد يوم، تفـوح رائحـة البـارود أكثـر فـأكثر، وارى الحـواجز تنتـشر هنـا وهنـاك.. و لم نهنـأ بليلـة يخلـو منهـا أصـوات الرصـاص والمدفعيات، حتى أن في ليلة ما.. قطعت الكهرباء على سائر الشام..

نظرت للسماء فوجدت الله قد أمـر تلـك النجـوم بـالتطلع والاطمئنـان على الشام.. حبيبة الله على ارضه وجنتها.. و قد انتشرت هنـا وهنـاك، فامتلأت السماء بها بشكل غير مسبوق..

نغلق النوافذ حذر الموت الطائر، فقد يأخذ أي شكل..

يصمت الصمت في تلك اللحظات، كنا متأهبين لحدوث مـصيبة، إمـا اقتحام أو مظاهرة ليلة.. أو انفجار، والاخيرة وهي القاضية، "قصف"..

و كما أن مدينتنا كانت بعيدة عن كل شيء، اصبح ينبع منها كل شيء الآن..

تدور اللحظات كأنها دهور.. و فجأة ينطلق صوت سلاسل.. لا ندري فعلا لمن تعود، ولا ماهية هذا الصوت تحديدا.. تأخذ انفاسنا بالتسارع أنا وأمي وأبي..

نجلس بصمت منتظرين الموت كما الجيران فاعلين، وليس بالعمر يوم أكثر مما مضى.. اصرخ قائلة: لك هي صوت دبابات!

صابر: ششششش لك سكتي يا مجنونة هلأ بفوتو ع البيت والله بصفونا كلياتنا..

آمنة: يا رب دخيلك.. اتلطف فينا

حور: هدول شو بدن يعملو!

صابر: الله يستر..

يُكسر باب الحديد في المبنى الذي نعيش به، ونسمع خطوات لاشخاص ليس بمعروفين هل هم بشر ام وحوش؟.. فتهلع الروح ويضطرب القلب بجنون، ونرى الموت يقترب..

تقترب تلك الخطوات أكثر فأكثر..

ننطق الشهادة مليون مرة، وتتخطانا تلك الخطوات القاتلة، ونتصت لصوت خافت للموت وقد تسلل لبيت جيراننا، فلا نسمع شيء ولا ندرك

شيء وكأن الحياة توقفت، من ثم تسللت إلى عروقنا التي نشفت بفعل الخوف..

ننام على حالنا من فرط القلق، ونفتح اعيننا ثاني يوم على صوت البائعين والحياة الطبيعية التي اخذت بالرجوع إلى هذا الحي، وكما بعد كل مظاهرة، يعود البائعون لفتح محلاتهم وتتسلل النساء لشراء احتايجاتهن والمؤونة، وكما لو أن شيئا لم يكن..!!

اتوجه نحو غرفتي وارتدي ملابسي واهم إلى عملي.. و بعد وداع ابي وأمي كما انه من المتوقع أن يكون الوداع الاخير لاحدنا، اخرج من منزلي، كنا نعيش في مبنى قد خلى من سكانه مهاجرين سوى من قرر التمسك بارضه وعرضه..

لم يبقى سوانا، وابو مصطفى وام مصطفي وابنتيهما، عائلة لا دخل لها ببشاعة هذه الاحداث، لم ينحازوا لاي طرف، وكما اتفقنا معهم في هذا، قررنا التشبث بتراب الشام..

داهمني الفضول لأرى ما حل البارحة، وما إن تم زرع راجمة صواريخ على سطح المبنى، أم أن قناص قد تمركز هنا، أم تمت سرقة شيء من شقة كما العادة، فمن رحل من هذه الأرض لن يعود لها، وتصبح ممتلكاته مشاع للسارقين..

أُطل من باب بيتنا فألحظ باب شقة ابو مصطفى وهو مشرع على

مصراعيه مع قفل محطم.. توقعت حينها أن الخوف قد سيطر على خافقهم فهربوا بعيدا كما غيرهم.. أطرق الباب طرقات خفيفة ولكن ما من رد، فأدخل بهدوء، أرى آثار أحذية عسكرية ملطخة بالدماء على أرض المدخل.. اضع يداي بكل قلق على قلبي عَلّي أُهدئ من روعه، اقترب من الصالة، وارى بجانب المدفئة، أقسى مشهد في عمري!

* * *

مختار: حور.. أنتِ كويسة!

حور :..

اراها وقد اختفت، لم تعد هنا.. وكأن الذكريات قد خطفتها، وكأن بشاعة الحرب اعتادت على سرقتها مع محاولات ناجحة بخطفها من واقعها..

ترنو بكل هدوء إلى زاوية المكتب، و قد طغى الحزن على روحي حين رأيتها بهذه الحالة..

اقترب منها.. اضع يدي على كتفها، ارفع وجهها إليّ بكل رفق فتنظر إليّ بعينين قد شابهما الضياع والحزن والدموع..

مختار: حصل أي يا حور..

حور :.. قتلوهن.. لقيتن متجمعين حوالين الصوبيا وفي طلقات رصاص بضهرن.. وماتو وهنن على هالحالة.. ماتو وهنن حاضنين بعض

كلياتن والبيت كل مكسر ومسروق، وما عرفنا ساعتها مين عمل هيك..

* * *

تَلَبَّسَني الصمت المغمور بالصدمة، حاولت أن استوعب ما أرى!

و لكني أسرعت خارجا، ذهبت إلى عملي وكأني لم ارى شيئا، وكأني لم ارى مجزرة أقيمت على بعد خطوتين من منزلي، وكأني لا ادري اننا اللاحقون وأن دورنا بات الآن.. ينتظروننا حتى ننسى ما حل، وعلى غفلة سيدخلون بكل دم بارد ويمحون كل آثار الحياة.

اكتشف الحي بعد خروجي مباشرة ما حل، والكل علم حينها أن دبابة تابعة لجهة مغمورة، دخلت إلى حينا وقتلت عائلة ابو مصطفى كاملة ظن منها إنها على علاقة بالأحداث الحالية..

أرواح أخرى زُهقت بسبب الحرب، بسبب تافه، وظلم..

و لكن بعد هذا الحدث، اخذ الصمت البشع يسيطر على الحياة في حي الياسمين!

و بدأ الناس يشكون بعائلتي ايضا، بالرغم من اننا وكما يطلقون علينا "رماديون"، بتنا مكروهين من الجانبين..

و كأي كائن حي في هذه البلاد.. انتظرنا موتنا على طبق من كبرياء!

* * *

"مختار"

كنت ممن يمضون يومهم بكل هدوء محاولين الا يحدث شيئا جديد ايا كان ليعكر صفو الروتين الذي وضعت نفسي فيه، علني ابتعد عن اوجاع القلب..

شبهتني في مرة جلسنا بها سويا، بعد أن سرقت منها كل الامان الذي وهبتها اياه، بأن لي ثقبا اسودا في قلبي..

يسحب كل المشاعر التي تحاول الدخول اليه، وأن لا أحد قادر على الخلاص من جاذبيته، اسحب كل من يحاول التقرب مني إلى داخلي، امتص مشاعرهم وارواحهم إلى اعماق المجهول، وارمي بهم اجسادا تحاول العثور بدورها على ارواح اخرى بعد أن فقدت اياها في حضرة المشاعر المعدومة معي..

لم اكن ممن يعلمون متى وكيف، تحولنا إلى قطعة من جليد.. صعب الذوبان ومستحيل العيش معه أو من خلاله!

علمت هي كل شيء.. علمت بأني لست اشبهها ابدا..

و أن الشيء الوحيد المشترك بيننا هو "الفقد"

خسارة من احببناهم، جعلتنا نفهم تصرفاتنا بلا داع للحروف..

و لكني كما العادة، لا املك خيار من يدخل حياتي ومن يخرج منها، وكأن قوة ما تسيطر علي فتجعلني اخشى أن اخوض تجربة عامرة

بالمشاعر..

اخاف منها، اهاب التورط، فاطلق من كان قد جعلني محـور حياتـه في فضاء غير معلوم نـهاياته.. فيخبو ويضيع!

* * *

(7)

أرواحنا يجب أن تعطى حرية البقاء، ام الابتعاد!

"تـوا"

فجأة انقلبت كل الموازين، تغير كل شيء..

إشعاع غريب وجميل، إشراق لطيف قد تخلل حياتي، أنتِ وكـل مـا فيكِ.. يا نور العمر..

و يا ضياء الكون..

يا اشراق البهجة والسعادة والموسيقى..

يا نسمة هادئة ومجنونة في آن..

يا نجمة ما كان سطوعها في الحسبان..

يا قلبا له كل ما كان..

أشعر معك أني اعـيش وأمـوت ألـف مـرة في الثانيـة، جمـال المـوت بجانبك إلى لذة الحياة واتمامها حتى آخر رمق..

انتي سمائي وكوني.. احمليني اليكي.. إلى افقك السرمدي..

اجعليني أتنفس مجددًا من خلال عينيكِ..

يا حقيقية.. يا كل الكذبات..

يا كنزي وأثمن أشيائي..

يا خسارتي الكبرى..

Losing you!!

لا أبدا.. لا أحبذ هذا الشعور..

فأنا لم أبدأ معكِ حتى حياة قد رسمت حلوها، وخططت لكل لحظات الجنون التي سنعيشها سويا!

هناك شعور يباغتني بأني سأفقدك قريبا، وهل ربحت هذا القلب المشع بالحياة أصلا.. و الذي كلما اعطاني من حنانه اكبر وأنمو حتى اصبح بين يديك انسان خلق يعيش حاملا اسمى انواع الاخلاق ونبتت من خلاله اجمل انواع الورود

في حين زرعت أنا في حضن جنتك ولا اريد أن أجتث من تربتي أبدا

و يا لوسع تلك الجنة الصغيرة ودفئها رغم كل تلك الندوب..

لم أستطيع تخيل الحياة بدونك يا حور، سامحيني.

يبدأ اليوم طبيعيا، ولكن فكرة أن اجعلها تعيش معي قد اخذت بالسيطرة على عقلي، علمت إنها مستضعفة وأن تفكيرها مشوش، ولكن إن اتت وعاشت بجانبي ساجعلها تدرك انني الوحيد القادر على اسعادها..

نوا: حور تعالي معايا

حور: لوين!

نوا: على بيتي، تعالي نعيش سوى

حور: انت في شي بعقلك!

نوا: أنا بتكلم بجد!!

حور: بلا مزحك هلأ، يلا بدي روح أنا

امسك بيدها بقوة، تلتفت بذعر الي..

نوا: هتيجي معايا، قلتي اه أو لا.. انتي مش فاهمة حاجة دلوقتي، أنتِ مشوشة ومش عارفة تاخدي قرار، بس أنا الي هخليكي تاخديه براحتك وانتي جنبي.

تسحب يدها بكل خوف..

حور: بعد ايدك عني، ولا بقا تحاكيني.. وانسى حور.

تبتعد بكل سرعة من المكان، تذهب وتخلف ورائها بقايا روح..

لم يستوعب عقلي فكرة فقدانها، فقررت أن أجلبها لمنزلي مرغمة..

* * *

أنتظر في سيارتي خارج الشركة وعلى بعد شارع منها، في الوقت الذي يجب أن تحضر فيه إلى دوامها.. يتملكني خوف أن اؤذيها أو حتى اخدشها، ولكنها ارادت ذلك..

المح طيفها من بعيد، واثقة الخطى تمشي ورأسها مرفوع عاليا.. وكأنها على تحد مع خطواتها لتريها كم هي ناجحة في كل شيء، تتنبه

إلى كل الجهتين.. لا سيارات، فتمر بكل هدوء وهي مطمئنة أن لا خطـر في هذا الطريق المجنون..

و بينما تنزع سماعاتها ببطء مـن اذنيهـا، لا تـسمع صـوت عجـلات سيارتي مسرعة نحوها..

و في لحظة الصفر تنظر الي الشيء الذي ظهر من العدم، وتغيب

لم ارد لها أن تتأذى، كل ما فعلته هو انني اهديتها ضربة ستجعلها تـستفيق، يـركض النـاس مـن حولنـا واخـبرهم انـني سـأعتني بـالأمر وسآخذها للمستـشفى ويـساعدونني في نقلـها إلى الـسيارة وابتعـد بهـا، واحمل كافة أشيائها بجانبي.. أمسكت هاتفها المحمول بسرعة، اغلقته ورميت به بعيدا خارج نافذة السيارة، انظر لها وهي ترقـد كـالملاك مع جرح صغير في مقدمة رأسها، ينزف نزفا بسيطا..

نصل للمنزل سويا، احملها كطفلة لا تعلم أن ما ستعيشه مـن قـصص هو اجمل بكثير من حكايا الليلة الماضية..

اضعها بكل رفق في سريري، والذي جهزته لها وحدها، والـذي لـن يرقد هنا بجواري فيه غيرها..

ألثم جرحها واطبع قبلة رقيقة على جبينها واضـطر للرحيـل، لكـي ارتب المنزل احتفائا بقدومها..

اترك الغرفة وشعوري غريـب.. لم افعـل هـذا؟.. مـن حـور، كيـف

استطاعت أن تجعلني اتغلب على حقدي تجاههن؟!

علها المنجية..

* * *

"حور"

استيقظت من غفوتي الابدية الثانية، وجدت نفسي على سرير ليس لي، على حلم لم يحتوي "يحيى"، وعلى حياة خالية من رائحته التي باتت عالقة في كل ذرة من جسدي..

استيقظت هذه المرة أيضا ولكن اين انت يا يحيى!

اغلقت عيناي لأستوعب الكابوس الذي اعيشه، فتحتهما لأرى نفس المشهد الكئيب..

سرير متواضع في غرفة أبعد ما تكون لإنسان طبيعي، وبُعد كلي عما في الأرض فيها من الخسارات.. ما يجعل اثاث هذه الغرفة ينتظر لحظة انتحار، نشوة.. ودماء ترتشق لتغسل حزن سنون من الوحدة، علها تلون جدرانها الصفراء.. رائحة الدخان كانت تملؤها، دخان ليس كأي ممن استنشقته في يد أحد من قبل.. خلق له فقط.. كرائحته، كأنفاسه..

من هو!!

من الذي أتى بي إلى هذا الكون المليء بالحقد، والكراهية الدفينة وراء ابتسامة طامعة بحياة افضل من تلك التي مضت ودمرت ما

خلفها،غبار، تراب.. وذكريات..

و قليل من الاوكسجين يتسلل من تلك النافذة التي غطتها الجرائد، وكأنه لم يرد لأحد أن يشهد على خلق حياة ليست برغبتي أن اعيشها..

شبه منحوتات متراشقة هنا وهناك، وبضع منها منته واخذ اشكال عدة، احدها والذي استوقفني وجعلني اتعرف عليه..

تمثالين، احدهما فتاة تجلس وقد ضمت يداها على ركبتيها ورأسها شامخ بينما يقف تمثال شاب امامها وهو يسرق قلبها ويعتصره، بينما يخرج قلبه من قفصه الصدري ليهديه اياها..

كلاهما ارتديا الحب، وكلاهما في نظرة ابدية، لن تنتهي ابد الهدر..

انظر بعيدا قليلا، أرى مكتب قديم قِدم الجرح الذي في روحه، وارى نفسا حزينة تركت اثارها في هذه الغرفة، فالحزن هو الا تجد نفسا تخبرها بحزنك..

ازهار ميتة منذ عمر، لا تتحرك من سكونها البشع بعد أن دخلت هذا المكان!

و كأنها تعطيني لمحة عن حياتي..

و لكن تلك الجدران لم تكن تعبر عنه فقط!

إنها كانت هو بالذات.. ماض، ذكريات، مواقف عاشها ونقشها على

جدار غرفته الحزينة تلك كي يتخلص منها، علـها تـزيح الوجـع الـذي يخنقه من على رئتيه عله يتنفس، ويل له من ألم لم يكن بالحسبان!

استوعب أن هذا منزل نـوا وانـه لـيس موجـودا الآن علـى الاغلـب، فليس هناك حياة في الخارج ولا اصوات..

و كعادتي اجلس بصمت مع ألم شديد يأكل خلايا عقلي

ألمح جيتار أسود.. مليء بالغبار هو أيضا، وقد اشتاق لأصـابع تحنـو عليه، رحت المسه بكل ما اوتيت من حب لهذا المخلوق، فلي حلم صغير بأن اتقن العزف عليه كما كان يحيى!

اعزف كوردات لا معنى لها، شبيهـة بأغنية عتيقـة لفـيروز مـن ثـم اضعه بكل رفق جانبا واعود لإستكشاف هذا العالم..

غرفة احتوت احدى وعشرون سـنة مـن المتاعـب والالم، مـن الحـب والحقد، ومن احلام لا يدري أن كانت في يقظته ام إنها كوابيس..

انظر إلى زاوية الغرفة فأرى خزانة ملابس، مقفولـة بإحكـام، يـثير فضولي ذاك القفل لاكتشف ما يخفيه وراءه..

اقرر اخيرا التوجه نحوها، تأخذني الدهشة على حـين وحـدة مـني في هذا المكان والذي لا يشاركني فيه أحد ما سأستوعبه الآن..

من هذه!.. أمد يدي، فتمد يدها أيضا..

اقترب منها واحاول التركيز في وجهها وهي مثلي بفاعلة!

المس خديها الشاحبين.. تلمس روحي شفقة تجاهها، فلها عينان غارت كل الأحلام فيهما وماتت..

وجه اكتسب صفرة بشعة، وشفاه تحول لونهما للأزرق الداكن

شعر لا يشبه شعري أبدا، ولكن..

هل هذه أنا! !.. امعن النظر في نفسي..

و تنقضي لحظات بشعة من السكون بعد استيعابي لمظهري الذي بات وكاني عروس ستُزف إلى جهنم..

أغرق في عالمي الاسود، البعيد عن كل الم، اعود إلى غيبوبتي !

* * *

(8)

الحب في احيان هو طوق نجاة، وفي أحيان أكثر الغرق ذاته!

"حور"

اظن بأني باقية، وانني سأنجو بفعل حبك لـي، وايـضا لأنـك لـست مثلهم، والطريقة التي كنت تنظر لي بها، ليست مؤقتة وستعيش معـي ابد العمر..

أجلس هنا وحيدة بدونك، على أريكة العمر المخملية، يكسوها لوني المفضل " الرمادي"، وفي يدي بحر مـن الـذكريات يتـدفق داخـل عقلـي.. صورنا سويًا..

و كأن طوفـان احدثتـه صـورتك، فـراح يغـزو كـل غـرف الـذكريات ليخرجها، كي تبدو واضحة أكثر، ولكي أراها جلية امامي، ولكي اصدق انك لم تعد هنا، وانها لن تنتمي لي بعد الآن وتريد الخـلاص مـن عقلـي بعد جهد طويل وبعد ثلاث سنين من المحاولات..

انظر من خلالك لكل شيء.. فكيف لي أن انساك!

هدوء غريب يسكن اعماقي ويعـمّ الأرجـاء هنـا، لا أصوات رصـاص اليوم.. وهذا ينذر بشيء أعظم قادم لا محالة..

منذ رحلت، اصبحت افعل لا شيء.. والذي كنت افعله طول حيـاتي

تجاه خسارة من أحببت..

أراك سعيدا في تلك الصورة، مبتسما ولكن شيئ ما مخفي داخل عينيك.. "الموت"

أجل.. أتذكر ذلك اليوم جيدًا، آخر يومٍ لنا سويا في دمشق..

كان يوما مليئا بنثرات الثلج الالماسية، دافئا رغم الصقيع، وكيف للبرد أن يحتل جزءا من حياتي بقربك..

* * *

يحيى: نحنا التنين خلص، جنينا!

حور: ليش في احلى من الجنان، ليك ما احلى الشارع وهو فاضي، لك مافي حدا غيرنا وهالشي بطير العقل

يحيى: مع اني خايف تبردي بس بحب اني حققلك احلامك..

* * *

تنظر ببراءة طفل لتوه رأى الثلج لأول مرة في حياته، تلمع عيناها بكل جمال.. يا لك من جميلة يا حور

انا آسف على كل ما مررت به، اتمنى أن أعوض قليلا مما فقدته..

اقترب منها بكل هدوء وهي في حالة العشق هذي التي سيطرت عليها، وبينما هي غارقة في جمال الطريق الذي تكسوه الثلوج التي تحول لونها للأصفر بفعل انعكاس الضوء عليها.. بينما يطوق المكان الصمت الجميل، واشجار حافة الطريق وقفت شاهدة على ساعة الحب

الجنونية هذه..

يا الهي كم أنا محظوظ بك يا حور، آه لو تدرين

بكل حنان أرسل كفاي لتحتضن يديها الباردتين، أحمل أصابعها بكل رفق وأخبئهما في كنف الدفء الغامر يداي، فباتت يداها حضن وبيت وملجأ لي..

كانت يداها شديدتا البرودة، ودفء يداي قد غلّف جروحها، وأخرس الوجع في روحها..

أطبع قبلة على ملجئي ووطني.. في حضن ذاك الكف الذي حمل نفس الجورية، والذي قد شوهته حروق ذاك اليوم، وتركت فيه ندبات أشبه ما تكون أجمل شيء رأيته في حياتي..

قلب قد رسم من خلال تلك الندبة الصغيرة في باطن كفها..

حور، أنتِ تعلمين كم أحبك، وتعلمين ايضا أن حبك جعلني ادرك أن أحدنا راحل لأن.. لا سبب وراء هذا الإحساس، إنها فقط الحياة والحرب وطبيعة عملي..

الوداع!

اعلم يا صغيرتي كم انه مؤلم، ولكنه آت لا محالة..

اريدك أن تعلمي جيدا بأني لست براحل، وبإني باق، وروحي باقية ايضا!

و كل اللحظات الآتية هي لنا، وإن خبئتي وجهكِ خوف الفـراق، لا تخافي.. سأغمض عيناي فقط وافعلي مثلي..

فصورتك مطبوعة داخل جفوني، لا اريد لنا أن نحـترق، بـل نـشفى من الفقد الذي نعاني منه..

فقد الامان، والحب، والسلام في وطن كان يعتبر رمزا للسلام..

و لكن!

انها نهايتي.. أراها تقترب..

اريدك أن تعلمي أني اتمنى أن تجدي روحا وقلبا يحبك أكثر مـني، ولا اعتقد بوجودها فعلا ولكني اتمنى..

لطالما غزا سم حلو مسام يديّ.. نُقل اليك حين المـسهما، وهـو عبـارة عن عشقك يا اميرتي، عل من يأتي بعدي ويلمس يداكي ينقـل لـه سمـك الحلو من خلال بصماتي التي تركتها في ذاك الندب الصغير!

يا فتاتي..

لم ارد الذهاب صدقيني، ولم انو على تشويه قلبك اكثر..

تأكدي بأن روحي ستمنحك السلام اينما حللتي، وأن القبلة الاخـيرة سيكون حضنها جبينك الشامخ، والذي لن يكسره رحيلي..

إقتربت منك حد الجنون، ورأيت الخجل في عينيكي، وقفنـا ليلتهـا في مشهد يكسوه الحب والليل والاحلام.. ووداع قريب!

أمسكت بكل رفق رأسك، فغاصت أصابعي في خصل شعرك البني الجميل، لم ترتد حجابك لحظتها، فلم يكن سوانا في هذه الساعة، واحببت يومها أن يلمس جنون الثلج شعرك، اردت أن تجربي ذاك الشعور الجميل، رسمت اجمل ما يمكن أن يكون في تاريخ العشاق على جبينك الناعم، قبلتي الاخيرة

نظرت حينها لأجمل نجمتان قد خلقهما المبدع الرحمن..

يحيى: I'm so blessed with these perfect eyes

تضحك عيناها وترد بكل خفة: I know, I know

ابتسمت حينها، فهي تشهد بتواضع على جمالها الذي اكتشفته في عالمي.. بين حروفي، ونظراتي!

اهديتها نجمة كانت ساطعة في تلك الليلة بعد أن انقشعت غيوم الثلج تلك، بجوار التي اهديتا في تلك الليلة الصيفة

يحيى: هي صار عندك نجمتين، انبسطي

حور: ولك في احلى من النجوم، ع طول بتاخدلي عقلي، رح خلي وحدة الك ووحدة الي اتفقنا

يحيى: اتفقنا

* * *

"حور"

تنسدل دمعتان على خداي، اوقظتني من رحلة الذكريات تلك!

لما رحلت.. May god's love be with you always..

لا اعلم أي شيء بعد هذا، لن احاول ابدا أن اقترب من احد، شيء، وكل ما تمناه الآن أن تعلمني ماذا افعل من بعدك!

اعلم جيدا انك في مكان ما هنا وتسمعني..و أن روحك تنظر لي بكل حنان كما عهدتها..

ادرك أن الله قد اختار لك مكانا افضل من وطننا، كل ما اراه الآن أن هذا العالم، لم يعد لديه متسع لي..

الم يحن الوقت للعودة للوطن..

وطني انت، واغترابي يمحو كل اسباب السعادة..

I'll be coming home soon.. سأتبع خطاك.. سألحق بخطوط الشمس في شرفتي فجرا

سأنتظر سطوع وجهك في عالمي المظلم هذا يوما لتعلن بدأ حياتي.. معك.. وبلا نهاية ولا وداع..

في جنتك تلك التي تقطنها الآن مع عائلتي..

* * *

على أطراف دمشق، قررت الحياة أن تنجيك منها، ومع تلك

الاشتباكات التي لم تهدأ، لم تهدأ انت، وقررت كما العادة انقاذ من اراد الموت أن يخلفهم ورائه..

و كما خلصت روحي تمنيت وكعادتك أن تخلص الاطفال اولا، والذين ليس لهم سوى أن يدفعو ثمن برائتهم في وسط حرب لم تعرف الا اخذ ارواحهم بابشع الطرق..

انقذتني من شرك الحزن لتوقعني في فخ الألم السرمدي، والذي لا عودة منه!

ابتسمت راضيا بما حدث، وكأنك كنت منتظرا بفارغ الصبر هذه اللحظة، ولم اخطر ببالك لأنك ستستبشر بقدومي قريبا، فالله لا يترك الناس الطيبة ارواحهم هنا..

اصابتك رصاصة.. في عمق قلبي!!

لم أستطيع حينها النطق بحرف واحد، لم تسعفني لغتي حينها، وكم فقد على فقد على فقد..

الا تشبع هذه الحياة بأخذ من احببت، وكأنها تنتقم مني بالرغم من عدم ارتكابي سوى العشق والأمل بغد افضل، ويا لها من جريمة في هذا الزمن أن يكون لديك تطلع لايام افضل..

كان يومًا يحمل ملامح الشيطان، وخبث الحياة..

له رائحة الموت الكريه.. و ينذر بحزن اكبر من كل ما سبق، كنا قد اتفقنا أنا ويحيى ألا نغادر هذه البلاد سويًا الا لنعيم لجأ له احبابنا..

و لكن كما كل توقع يفشل في هذه البلاد، اخذتك الجنة قبلي، فعشت في جحيمي وحدي!!

هل تسمع بكائي، وهل أرضى بنصيبي من غيرك؟.. انت دوائي، بالطبع انت الشفاء، هلا مسحت تلك الدموع وعدت..

انا وحيدة هنا بدونك، هل يصلك المي؟..

ارجوك.. عد إليّ.. استقل الطائرة التي ستغادر بجسدي بعيدا عن دمشق، بينما أحاول أن استبقي بقايا روح في منزلي، قرب من قبرك و الذي لم اراه..

سيتوقف الزمن، وللأبد، في آخر لحظة لي هنا.

* * *

(9)

من فرط التعلق، ينتاب الأرواح داء العشق!

"سيف"

و كأن الحياة فتحت لي أبوابها الآن..

و كأني اعيش من جديد، بقربك ادركت لمحة من الفردوس، انتظرت كثيرا، و كافئني الله حين ارسلكِ الي، يا هدية السماء لي، ويا شقائي وراحتي في آن..

لما اخترتي البعد؟..

هل اخفتك حين اصبحت انسانًا كاملا وتعودتي أنتِ على نقصاني، بينما تحنو روحك الي لتكملني..

اضطربت مشاعرنا بعد أن تجمد عقلك في محاولة استعياب انني لم اعد بحاجة اليك الان، وأنتِ التي اعتنيتِ بكل تلك الجروح وليس بتلك القدمان العاجزتان!

صمت غزا جلساتنا التي كانت تملؤها ضحكاتنا ومشاريعنا المستقبلية..

الم تحلمي عني بأن يأتي يوم ما أحملك فيه ونركض ونهرب بعيدا عن هذا المكان المقيت؟

لم أقدمتي على جعلي كاملاً كيلا احتاجـك في نظـركِ، بينمـا فعـلاً.. بدأت الآن بإحتياجك حقا!..

رحلتِ بكل هدوء، ولم تقدّري سكوتي هذا الذي لثم قلبي في محاولة خائفة مني كي لا اضغط عليكِ اكثر..

سيف: لجين.. أنتِ خايفة من حاجة!

لجين: لأ

سيف: أنا حاسس بيكي.. أنتِ عيونك بتقولي كل حاجة!

يصمت الاوكسجين بحضرة انفاسها التي خنقتني عشقا، انظر لتلـك العينين التي نزعتا كل الخوف والألم.. ستبقين يا لجين، لن تغـادري.. لن تستطيعي تركي واللحاق بقطار الراحلين، لست منهم..

سيف: أنا مش بإيدي صدقيني، أنا لازم اسافر، أنا مينفعش اعـيش هنا وانتي بتحبيني وبتتمنيلي الخير ومش هتسيبيني صح!

لجين: مين الي هيسيب التاني!

أغرق في صمت مغمر بالدهشة، هل تقرأ افكاري فتاتي..

يحق لها..

اضطررت غير باغ للبعد والهجران ترك هذه البلد التي تحوي حلمي الصغير وحبي الاكبر "لجين" ..

أدرك حجم مصيبتها الآن، فلم يمر علينا يوم منذ تلاقينا ولم نعـش

لحظاته سويا.. و الآن بكل برود أقرر الابتعاد.. وبكامل إرادتي أصر على مباركتها لي ولقراري بهجرانها..

يا لي من قاس، لم يكن في البال أن البعد صعب لهذه الدرجة، ولكن..

ان قررت أن تبتعد، يجب أن تتحمل مسؤواية هذا القرار!

كيف لقلبك التحمل اكثر، لا ادري؟.. و لكن كل ما اعلمه الآن أن حور بجانبك ولن يصعب عليها جعلك العيش بلا وجع، ستمتص تلك الاخرى وجعا على وجعها، ولن تدعكِ وحيدة في عالم يخلو مني..

لا عليكي يا صغيرتي، سأراك قريبًا.

و لكن كيف لقلب مثل قلبك أن يصمد أمام قلب مثل قلبي!

خنقتني بعد أن توقفتي عن اعطائي اوكسجيني بعد توقفك عن الحديث معي، اه كم كنت اعمى، وأنتِ التي جعلتني أبصر كل الحقيقة..

لمى، ادرك كم إنها ليست شريرة كما ترينها، وأن لها من اوجاع تطابق اوجاعي، فاشتركنا في الألم ذاته، والذي لا يوافق الا ألمك يا فتاتي.. لا أريدك أن تصلي لمرحلة التبلد تلك التي وصلت لها..

و لا احبذ أن تتألمي مني، ارجوك تخطي الألم بشموخ كما عهدتك..

* * *

"أمسية رأس السنة"

"سيف"

تأخذ خطواتي بإيلامي كما السابق، في حين محـاولات فاشـلة قبلـكِ بالنهوض من كرسي الوجع.. و بعد عام من الفراق..

انزل من على سلم الكبرياء لأعلم اني سأرى أحدهم يحتضنكِ مهنئـا نفسه بوجود قمر يـنير ضـيائه حياتـه بعـد أن اعتمـت قمـري واظلمـت حياتي، كالاحمق!

تمسك لي يداي بكل قوة وكأنـها تريد التأكيـد لكـل الحاضـرين بكـل سخافة بإني لها وحدها، بينما هي لا تعلم ان قلـبي هنـاك، بـين ضـلوع حنونـة.. أبت أن تشرد قلبي..

انتِ حب حياتي..

أطلقتِ لحنجرتك عنان الشوق حـين غنـيتي mirrors والـتي لطالمـا سمعناهـا سـويًا حـين كنـا نمـشي معًـا علـى كـورنيش النيـل.. فجـرًا، كالمجانين.. كنتِ مجنونتي الصغيرة التي أعشقها..

You are you are the love of my life

So now I say goodbye to the old me

And I can't wait to get you home

Just to let you know

You are you are the love of my life

و كما عهدتك، استبقيتي حبنا داخل حدود روحك ولم تطلعي أحـدًا عليـها..

رأيتك بعين مشتاق، اهم بالذهاب اليكي حين لاحظت وحدتك، ويـا لي من سعيد حين لم الحظ وجود رجل معك، هـل هـذا يعـني أن لجـين التي اعرفها لا زالت على قيد العشق..

يمنعني الخوف من الاقتراب، ولم تلحظي وجودي بعد، مـاذا أنـتِ بفاعلة حين تريني يا ترى..

اقترب بكل هدوء مـن خلفـك لكـي اتمعـن تلـك الـروح الـتي انقـذت تفاصيل الحياة المشوشة من الضياع واعادت لها صفائها..

استنشق عبير عطرك الذي اهديتكي اياه يوما، هل لا يـزال عالقـا في انفاسك ام انني اتخيل..

اه كم اشتاقك يا لجين..

* * *

"لجين"

شعور غريب يعتري الروح حين يقترب منها صاحبها, حـين يـصبح على مرمى قبلة، وتضطرب الجوارح في حين أن فكرة تواجد طيفه فقط، لها تأثير رائحة الورد في تهدئة تلك الشرايين التي تجعـل الـدم يتـدفق بسرعة الذكريات الـتي تمـر مـن خـلال اعيننـا، فنـسابق الألم ونبحـث

بعينان تأملان كل الحب، ووجوده، يا نبيذ من الـورد اسـتوطن روحــي، اشتقت لسكرتي حين ارنو لعينيك..

اصمت قليلاً واحس بعاصفة من الشوق خلفي، اهاب الالتفـات، ظـل من هذا..

نسيم من هذا، هل هو يا قلبي..

اتعبني الانتظار، ككل لحظات سعادتي المزيفة في بعدك

اقتلني بسعادة تواجدك الان، ارجوك

يا الله، امنحني قوة الصمود في حضرة عشقه

التفت أخيرًا..

* * *

"تـوا"

ادخل المنزل مسرعا علّي اتأملها وهي نائمة كملاك في مملكتي، انتبه لها وهي جالسة بكل صمت على سريري..

لم ادرك حينها اني اطلقت وحش الحزن الذي بداخلها، لم اكن اعلم ماهي قصتها، ولكني اردت اني تخبرني هي..

بكل هدوء تنظر في اللاشيئ!

ارقبها لمدة ساعات وهي علـى نفـس الهيئـة، اخـذت تتـسلل لقلـبي مشاعر لا ادري ما هيتها.. من الممكن اني اشفقت عليها..

هه، نوا الذي عاهد نفسه الا يشفق عليهن، غلبت جبروتي هي..

اتذكر كل ما مررت به، يخطر ببالي كم روح شقيت بسببي!

و كم من انثى كرهت كونها انثى بعد دخولها كوني..

ارى الحزن يتقطر من وجهها الشاحب، وكأن الموت اقترب منها فعلا، وكأن قابض الارواح على استعداد في أي لحظة لإنقاذ روحها من هلاك الارض..

لا.. لن يحصل هذا، هي معي الآن وانا سأحميها من كل الم،

تأخذني قدماي بالقرب منها..

اجلس على الأرض مقابلا اياها..

اضع رأسي في حضنها، وابكي!!

* * *

"حور"

من انت.. ما هذا المكان، أسئلة عدة اخذت بالسيطرة على عقلي رويدا رويدا.. ارى هذا الكائن وهو يرمي بثقل ايامه في حضني المشوه!..

ارفع يداي بكل الم، لم يكن يحيى، ولن يكون.. ينقطع صوتي ويخبو..

لم أذرف دمعة واحدة في سبيل الحزن عليك يا يحيى، وها أنا الآن اشهد على السنين الثلاث التي قضيتها في عالم ليس لي..

و في أحضان أخرى، تحررت من نكـران فقـدك.. خـسرتك للأبـد يـا صاحب الروح..

و لعلمـك أن خـسارتي دنيويـة فقـط، لم يـدرك حجـم معانـاتي هـذا الكائن، وكأن صراخي كان صامتا.. و كأن المي كان مخفيا أمام ناظريه، لم ادر ما أراد ولم احضرني لجهنمه هذي..

أريد الهروب بكل ما اوتيت من حياة اقضيها في ذكـراك حتـى تـأتي لحظة اللحاق بك..

أغرق في صمتي الذي تلاعب بفضول نوا..

نوا.. وكأنه بنية خفية اراد مني أن اصعد سفينة النجاة إلى بر الحياة والنعيم الدنيوي، بينما لا استطيع الا التفكير كيف هي حالنا ستكون في جنتي مع أمي وأبي واخي ومعك انت يا يحيى!

* * *

"نوا"

أرى دموع تتقطر على وجهي، ومن ثم ألحظ وجود شي اكثف من ثقل تلك الدموع.. دم!!

التفت بسرعة وارى الجرح ينزف بشدة، يا الهي هذا الجرح صـغير يجب ألا ينزف بهذه الطريقة..

أجلب صندوق الاسعافات الأولية وأبدا بتطهير ذاك الوجـه مـن الألم

وارى عينان ليست هنا، وروح سبقت المكان وسافرت إلى كون لست فيه..

اطلق ليدي الراحة بلمس خدها الأيمن، الذي اصبح وطنا لتلك الشامة الصغيرة، احاول قدر الحب أن اجعلها تشعر بأني.. احبها!!

و في بحر اللاشيء الذي غرقت هي به.. لم اجدها، اختفت!

حفظت قلبي من تعفن أطرافة بعيدا عن استنشاق هواء العشق بينما لم تفعل شيء الا كونها هي فقط..

لم امنعها من الرحيل..

لم يحدث بيننا الا كل شيء، لم تنطق ألسنتنا بل اتفقت ارواحنا بتفهم ما جرى..

رحلت حور، وأظلمت حياتي من جديد..

* * *

"لجين"

التقت نظراتنا.. بعد تيه عمر!..

و قد ألفت روحي جميع انواع الوجع في بعدك، أيتها الأوجاع اصمتي، دعيني اتأمل ما جعل القلب يقبل على الحياة..

لا ادري كم ساعة قضيتها في نظرتي تلك والتي انتهت بإيقاظك لي، من الواضح انني لم أستطع الصمود أمام جبروت الشوق..

انظر لك بعين ملؤها الدمع والعتاب..

لى: أنتِ كويسة يا لجين.. خوفتينا أنا وسيف عليكي كنا هنمش..

سيف: مش دلوقتي يا لى، مش شايفة البنت تعبانـة، ازاي نمـشي ونسيبها؟

و كأنها قصدت ذكر اسميهما في ذات الجملة كي تزيد في حرقـة هـذا القلب.. لأنها وعلى دراية تامة بالعشق الحاصل خلف اسوار الروح..

لم أرد لهـا أن تأخـذه مـرة اخـرى وتـسحب روحـي معـه وتمـضي، اغمضت عيناي كره المشهد الذي سيحصل امامي الان..

و لم أرى سواك.. نفس المكان والمشهد والطريقة المجنونة التي تنظـر الي بها..

اسمع صراخ وشجار بينهما وكأن الكل اختفى حولي الا منه وثرثـرة منها فقط..

ألمح طيفاً غادر الغرفة، خفت حينها أن يكون هو الذي غادر ليتركني وحيدة مع الروح التي لم اطق ذكر اسمهـا علـى تواجـدها علـى سـيرتـها حتى..

أحاول فتح عيناي قدر الإمكان، فأرى أمل حياتي..

سيف: بحبك

لجين :..

* * *

(10)

هل بالإمكان للوقت أن يَشفي، أم أن أحدهم ألصق تهمة الشفاء إليه عمدًا، ليتهرب من شيء ما؟!

من حبيب ما!!

من قلب ما!!

"مختار"

لم تمر ايامي.. توقفت تماما

لم أستوعب حجم معاناة حور، قد وهبتها أمانا كانت تبحث بروح مجهدة عنه، ولم اقصد أن ابيعها هذا الأمان لأشتري لها حزنًا أكبر..

كسرت قلبها، لا.. هذا القلب لا يكسر!..

هي قوية، تحملت الكثير، واجهت الكثير.. ولكن ماذا عن قلبي أنا؟..

أريدك يا حور..

و لطالما حلمت بحور من الجنة على أرض أعماقي الجرداء..

كم أنا فارغ جدا بدونك.. قد أنهكني بعدك وقربك بدون القرب منك، إنني أتهاوى يا حور.. احتاجك وبشدة!..

أحتاج نورك، فمنذ رحلتي اجتاحت الظلمات حياتي!..

أراكِ وانـتِ تحتـاجينني بقـدر احتيـاجي لـكِ.. اعطـيني اشـارة، الهميني.. طمئني هذي الروح التائهة في وحدتها..

ندوب الـروح تلـك، سيطرت علـى روحـك وبإحكـام اغلقـت ابـواب الراحة والامان..

حطمتُ اقفال الندوب تلك كي تنطلقي لحياة افضل، ولم ادر اني اضع السم في تلك الندوب كي تعود جروحا حية لا تموت..

هنا أنين في روحي يهمس باسمك، يناجيكِ.. نسيان، ندم، همس

كل شيء على ما يرام، فأنا والحمد لله لست بخير!..

و لاشيء سيستطيع أن يزيل الحزن الذي يسكنني الآن ولا تلك الروح التي حاولت دخول عالمي بموافقـة سـخية مـن أقـاربي وحـبس خـذلاني بخاتم ربط يداي، وليس روحي وقلبي..

رحيلك كان تأكيدا على انتهائي، غبائي جعلني اعتقـد أنـكِ باقيـة، وجعلني انسى أنكِ كائن سماوي..

و كأن السماء تمعن في النظر إلى خفايا قلبي..

و كأن الذكرى الخاليـة مـن النـدم، الحـزن، و المليئـة بـك ترشـدني اليك..

سأنتظرك يا حور.

* * *

"حور"

استيقظت بكل أمل على عدم النهوض من نوم أحلم بـأن يـصبح أبـديًا يومًا، انظر لسقف غرفتي حيث كل الالوان باتت تأخـذ موقعهـا.. افـتح عيناي ببطء، استوعب بقلب تملـؤه الغـصات الجديـدة الـتي اضـيفت إلى اخرى باتت عتيقة بعد أن اتخذت قلبي موطنا لها..

لم تعد في عالمي..

بعد ليلة قضيتها في زاوية ما، قرب حوض الاستحمام المليء بالميـاه، والذي كان يغريني بالاستلقاء في أحضانه، يدعوني ويغريني بنـوم ابـدي احتاج اليه..

لراحة أضعتها للتو بعد قراءة رسالته للمرة الألف.. و بعد الف يـوم من ذكراها.. تشتعل روحي كأنها قد ارسلت للتو..

انه مع احبائه.. ليس لي مساحة في حياته بعد الآن.. و خاصـة بعـد أن سمح لخاتم ما بسرقة يديـه، سمـح لبـصمات أصـابعه أن تلمـس أيـادٍ اخرى!..

انظر لذاك الحوض بكل امتعاض وعلى مضض من تلـك الرغبـة الـتي اجتاحتني أن ألقي بكل خذلاني فيه، اضع رأسي على طرفه البارد..

أبكي!

جعلتني أبكي يا مختار، وانا التي جففت الغربـة أنهـار الـدمع مـن

مقلتاي..

زادت ملوحة المياة في ذاك الحوض وكأنه احتوى لتوه على خيبات أربع سنين مثقلة بالهم والوحدة..

استسلم أخيرا وألقي نفسي فيه، وأجعل مياهه تغمر جسدي كاملاً، يمر شريط الشوق والألم وصور لأحباب رحلوا..

و حين توقف هذا الشريط عندك أنت، ادركت إنها ليست النهاية!!

* * *

غارقة في محيط من مياه قد غمرتها تفاصيل الذاكرة..

حاولت جاهدة أن تجعل المياه تمحي وجع روحها..

يا ترى كيف يُمحى الوجع؟.. و ما هي هيئته؟.. و كيف نلعنه ونتخلص منه؟..

أسئلة عدة أخذت تدور بشكل مجنون داخل خلايا عقلها..

لم تكن على دراية كيف هو مذاق الموت رغم إنها عاشته آلالاف المرات وفي كل مرة تفشل في المحافظة عليه حتى تنجح في الهروب معه!.. كان لذيذًا..

شهيًا..

أنهى ببطء الآلام التي استوطنت القلب، فلم يسطع الزمن ولا شيء أن يمحيها.. على الأقل من الذاكرة مع بقاء وجعها..

و لأول مرة راحت تفكر بشكل جلي..

تراءى لها انه ينظر لها بسكون الموتى ولا ينبس ببنت شفة..

صورة معلقة.. مشوهة.. تكسوها خطايا الصمت الممزوج بالذنب

يرقب بهدوء لحظة خروج الروح..

و ينظر للأثير وهو يحاول الخلاص من بين يدي الحياة..

كانت روحه شاهدة على الذي سيحصل الآن..

يرقب دموع المقل وهي تتدحرج بين خطوط يديه..

يذكر ملمس تلك الخدود، يسترجع لمعة عينيها.. يحاول جاهدا أن يبقي جزءا منها معه كي تبقى حية داخله..

يشتاق لها ولكنه اتخذ منها كونا محرما عليه..

وضعها تحت خانة الخلاص بعد انهاء ساعات كتبت له أن يقضيها بين أناس أرغم على العيش معهم..

لم يعرف القلب ما معنى المعاناة الا حين ادخلهما العشق تلك المدينة الحزينة والوحيدة المسماة بالشوق..

تغلغلت المياه فعليا إلى رئيتيها هذه المرة.. ومع نقص الاوكسجين، راح عقلها يتراجع..

مرّ شريط مليء بأحداث حصلت ولم تحصل.. و كانت على وشك

الحصول لولا فتنة حدثت بين قلبين وسرقتهما إلى عوالم مختلفة!..

و مع هدوء منزلها وروحها لم تحارب.. لم تتمسك بالحياة.. لم ترد للعمر أن يفضي بها إلى واد غير ذي عائلة.. حب في غرفة أشبه بجلاد للذكريات..

و مع اضاءة خافتة.. ومنزل بعيد جدا عن ضوضاء الأصدقاء المزيفين..

بعيدة جدا عن صديقة القدر.. تلك التي اضطرها الغياب ألا تتواجد في لحظات كهذه، والتي وثقت تماما إنها قادمة ولكن ليس بتلك السرعة..

راحت تنسل روحها ببطء، تغلق عينيها..

ترى تلك السماء التي لطالما أحبت تصويرها واشتهت معرفة سكانها.. ألوان.. نجوم.. فضاء شاسع..

هل انتهينا؟

هل هذا ما يتمتع به الانسان بعد أن تتخلص الأرض من روحه؟..

رحلة عبر مجرات لا يحكمها زمان ولا مكان ومساحة لا تقدر باندهاش كائن صغير..

و أنوار.. أنوار كثيرة!.. ترى يد عملاقة، تعرفها.. تشبه التي.. و تسحبها بكل عنف وكأنها تأخذها لجلادها، و ينقضي حلم صغير بالخلاص من هذه الحياة!

* * *

لحظات صمت.. جثة مرمية على أرضية الغرفة..

و راح الماء ينتشر بسرعة في زوايا الغرفة..

لحظات اختلج فيها الذعر بالحب والصلاة لله ألا تسحب روحها بعدما سحبها من الماء.. راح عقله يتلو كل صلاة ودعاء يمكن أن يبقيها وألا ترحل الآن..

و بعد الهلع الذي اصاب القلب، اقترب منها بكل هدوء.. تردد كثيرا قبل أن يعيدها للحياة..

هل ستشكره ام إنها ستبكي بين يديه على جريمته؟..

هل ستغفر له اقترابه الشديد؟..

" هل ستستطيع تذكر أني من اعدت لها الحياة بقبلة! "..

"تنفس صناعي"

لطالما حلمت بالاقتراب منها وأن اهديها اياها بموقف اجمل ولكن!.. ارسلت لي السماء الهدية في وقت غير مناسب ومناسب في آن معًا..

هيا يا قلبي، ساعدني كي نعيدها الينا.. لم تكن لي من البداية حتى اعيدها اليّ، و لكنها ستكون..

تمر لحظات.. أحاول جاهداً إستعادة روحها من بين الشمس والقمر.. تسبح هي في فضاءات بعيدة الآن.. لم تصل لبوابة جنتها

السماوية بعد!..

و كأني أرى رحلتها مشهدًا أمامي!..

أحاول جاهدًا بكل ما أوتيت من حياة أن أهديها بضعًا منها..

استمر بعملية الانقاذ تلك ولكن.. لا أنفاس.. لا روح هنا!..

انتهى كل شيء..

هذا الألم حقيقي..

لا أصدق!!.. رحلت؟.. وصلتِ إلى بوابة الجنة وقد استقبلك احبابك جميعا؟.. لم يحن الوقت بعد!.. عودي ارجوكِ..

اتخبط في محاولة مني لإستيعاب ما حصل للتو..

رَحَلَت حور أخيرًا..

توقف النبض أخيرًا.. خدر سيطر على جسمي، فارتميت كالذي طُعن في منتصف روحه برمح من فراق..

مرت دقيقة تلو الأخرى وانا أطالع جسدها، عل شيئا ما يتحرك وينذر بعودتها.. لم أتصل بالإسعاف.. فكانت محاولتي وحدها كفيلة بأن أزعج سلامها السرمدي، والذي عاثرت روحها طويلاً لإيجاده..

أُغمض عيناي..

و لوهلة أرى ملامحها البريئة، تحاول العودة..

أراها ترجوني لإعادتها.. كيف؟!..

أنتِ التي قررتِ الذهاب.. أفتح عينـاي علـى صـوت أنـين، سـعال.. ووجه أزرق..

اركض نحوها كطفل صغير وجد والدته بعد ضـياع دقـائق، هـي فقـط التي فصلتني عنك ولكنكِ هنا..

تفتح عيناها بمحاولة منها لمعرفة أي كون وصلت اليه؟..

تنظر الي بعينين ملؤهما الألم والخيبة والدموع..

أخـذتها إلى حـضني الـصغير، وأغلقـت بإحكـام ذراعـاي علـى تلـك الكسور التي ملأت روحـها..

هدأت تلك الشهقات الحزينة.. توقفتْ عن البكاء.. رميت بخـاتم لم يربطني الا بإنسانة إضطررت لإيهام من ظنوا أنفسهم قبيلتي اني سأتبع خطاهم المشوهة..

أنا لكِ مـن اليـوم يـا غريبـة عـنهم وقريبـة مـني.. سـتكونين أهلـي وسأكون أنا ايضًا.. إطمئني يا صغيرتي..

انتِ في كوني.. جنتك.. الحضن الذي لن يخذلك..

تغمض عيناها، ولا أقلق هذه المرة، لأن التنفس عاد طبيعيًا..

عادت لعادتها بسرقة الأوكسجين مني بحضورها..

عادت حلوتي الحزينة.. وعدت أنا.

* * *

شُكر

إن كان عليَّ أن أشكر شيئًا ساعدني في إتمام هذا العمل، فعلى أن أشكر:

غُربتي أولاً..

و الحرب ثانيًا..

و أنتَ.. آخراً..

صفحة الرواية على الفيسبوك

www.facebook.com/يا-صاحب-الروح



حور , تمر أيام حياتها من أمامها بشكل لا يليق بتلك الاحلام التى صنعتها فى مخيلتها و التى اعتادت على كتابتها فى مطلع كل عام، حاولت الخروج من نفس الوطن الذى عشقته و حلمت به بعد غربة امتدت منذ ولادتها.. أغراها نسيم النيل، فسمحت لجسدها بالتوغل فى أم الدنيا و قررت تذوق حياة جديدة .. أسلمت عذابات نفسها لأرض استقبلت كل أنواع الهوى، العشق و الألم .. يقتحم حياتها صنم راح يعتقد أن بإمكانه إنهاء معاناتها بقبلة , و يا لها من طريقة مجنونة يكسوها الوجع, فالنهاية لا تكون بالفقد بل هى البداية خلف كل شىء

تصميم الغلاف : عمرو سند

